

هذا ما حدث لكفر مفتاح

رواية بقلم

محمد نور الدين





مؤسسة الانتشار العالمي
للطباعة والنشر والإعلان والتوزيع
ت: ٠١٠٢٧٢١٢١٣

E.mail: Alentshar48@hotmail.com

الكتاب : هذا ما حدث لكفر مفتاح (رواية)

الكاتب: محمد نور الدين (مصر)

الناشر: مؤسسة الانتشار العالمي

الطبعة العربية الأولى: مصر سنة ٢٠٠٧م

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٧٠٦٤

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٢٢٦-٠٠-٥

تصميم جرافيك الغلاف: المهندس خالد نور الدين

الجمع والإخراج: وحدة الكمبيوتر بالمؤسسة

الفصل الأول

صرخ الحاج سعد في وجه مخاوفه الشخصية جسداً، فهي مخاوف تتملكه وحده، لا يعاني منها غيره، فإذا فضح أمر زواجه من امرأة ثانية، وعلمت به زوجته أم سعدية، أو ابنته سعدية فستكون حتماً نهايته، أو علي أهون الأمور نهايته مع أسرته القديمة، لذا كرر المخاوف نفسها علي مسامع صديقه الحاج صالح محمود صاحب مستودع الإسمنت بمدينة فاقوس، كررها بصوت خفيض مضطرب كأنه يخشى أن يسمعه أحد، أو أن تحمله من شفثيه الرياح إلي أذان أسرته أو الحاقدين عليه من أهل كفر مفتاح: ماذا لو تسرب الخبر يا حاج صالح إلي أم البنات؟! ..

لم يكلف الحاج صالح نفسه ويرفع عينيه الضيقتين من فوق ساقبي امرأة سافرة، كانت تحمل طفلها الصغير، وتعبر من أمام باب متجره، والذي يطيب للحاج سعد - وخاصة في الأيام الأخيرة - أن يسعى إليه ليجلس معه علي الكنبه الخشبية التي وضعها الحاج صالح هكذا علي واجهة الطريق العام، الذي يعبر من أمام مستودع الإسمنت مثلاً بمتابعة سيقان النساء العارية أو صدورهن النافرة، وبين لحظة وأخرى يلكز الحاج سعد في فخذة قائلاً : ((انظر إلي نعممة ربك وتحسر علي الخفير الذي ترقد معه في فراش واحد، ها هي المرأة التي تمتع رجلها)).

تأفف الحاج سعد من هذا المزاح وهو يشعر بالضيق الكامل؛ لعدم تقدير صديقه للموقف الصعب الذي يوشك أن ينزلق إليه .. أعاد سؤاله بصوت أكثر حدة وانزعاجاً: ((يا حاج أنت بالتأكيد لا تقدر خطورة الوضع، الذي يمكن أن أقع فيه، لو أخذت بنصيحتك وتزوجت من امرأة أخرى.. ستكون كارثة بالتأكيد!!)).

أخيراً استطاع الحاج صالح أن يقهر شهوته وإيمانه في متابعة الأجزاء اللدنة من الغاديات والرائحات، والتفت إلي الحاج سعد بعينين أكثر ضيقاً ودهشة وكأنه يوبخه: ((ياحاج سعد دع هذه المخاوف لرجل غيرك .. أنت تاجر تعتمد في حياتك علي المغامرة .. ماذا لو عرفت أم البنات بأمر زواجك من امرأة أخرى؟! .. أنت ستتزوج من أجلها ومن أجل بناتها .. أنت لن تتزوج حباً في الزواج أو في النساء .. لكنك ستتزوج لكي تتجلب لهن ولداً ذكراً .. ولداً يحميهن بعد موتك .. يحمل أسمك ويحافظ علي ثروتك .. يدخل علي أخواته البنات في المواسم والأعياد)).

بدأت مظاهر الارتياح علي وجه الحاج سعد وهو يستمع من صديقه كلمات يشعر هو بها أكثر من غيره، بل ويتمناها حتى الموت، لقد أضحت مشكلة ليله ونهاره .. الابن الذكر .. لم يعد لديه أي شك في أن الحل الوحيد لجميع مشاكله مع أهل الكفر والعمدة والدنيا كلها والمستقبل الآتي هو أن ينجب طفلاً ذكراً، لقد فكر في هذا الموضوع منذ سنوات بعيدة ومنذ أن تكس المال في خزائنه، كان يشعر بحزن عميق وقهر كلما فكر أن هذا المال الكثير والذي استثمره ونماه بعرقه ومجهوده وذكائه، بل ومعاركه في السوق، سيؤول في يوم من الأيام إلي أزواج بناته .. إلي رجال ليسوا من صلبه .. إلي رجال غرباء .. خسارة كبيرة أن يذهب كل تعبهم ومعاناتهم إلي رجال غرباء عنه، لو كان لديه ولد من صلبه لكان أسعد الناس جميعاً، وأكثرهم راحة .. كل مجهوده وتعبه لن يضيع هباء سيقون لابنهم هو .. أم البنات توقفت تماماً عن الإنجاب .. لم تتجب غير خمس بنات .. لم يعد يعلق عليها أي أمل لإنجاب الذكر.

لكنه مع ذلك كان يخشى من الاسترسال في التفكير في هذا الأمل، لم يكن يجرو علي التحدث به إلي أي مخلوق من الكفر فأهل الكفر يحقدون عليه، فهم لم ينسوا بعد أنه كان منذ سنوات يعمل أجيراً عند العمدة الحاج أيوب، ويستكثرون عليه النعمة التي هو فيها الآن،

ويتمنون زوالها عنه؛ ولذلك فهم سيجدلون له من هذا الموضوع حبل مشنقة للقضاء عليه، سيفسدون نفوس أهل بيته عليه؛ لذا صمم بينه وبين نفسه علي كتمان هذا الأمل المحفوف بالمخاطر بين جنبيه .. لم يبح به إلى أي إنسان، إلى أن حانت الفرصة، عندما بدأ الأمر بمداعية من صديقه الحاج صالح : ((ألم يحن الوقت بعد لتغير الماعون؛ حتى تنجب طفلاً ذكراً؟! .. خسارة كبيرة أن يذهب تعبك ومالك الكثير هذا إلي يد الغرباء!!)).

احتار الحاج سعد لحظتها بماذا يرد عليه: هل يفتح له قلبه وبصارحه بما يخبئه في أعماقه من آمال وأحزان؟ .. أم يظل معتقلاً لكل مشاعره وأحاسيسه في تجاويف قلبه؛ محافظاً بذلك على أمنه العائلي وسلامته الاجتماعية؟ لذا لم يبادر بأية إجابة .. بل ظل ينظر إليه في صمت تام، كان يحمل في كآبه أنه لم يع تماماً ماذا يقصد الحاج صالح بكلامه هذا .. بدا علي وجه الحاج صالح نفسه مشاعر الأسف والخجل؛ لأنه مازح هذا الرجل المخلص لزوجته وبناته في موضوع الزواج من امرأة أخرى .. فكر أن يعاجل بالاعتذار بطريقة لبقة، لكن الحاج سعد لم يسمح له بذلك، إذ سرعان ما حزم أمره وقرر - قبل أن يتراجع صالح عن رأيه ونصيحته - أن يفتح له وأن يفضي إليه بمخبوء نفسه .. وازن الأمر على عجل .. رأى أن الحاج صالح هو أكثر الناس أماناً .. فهو صديق مخلص منذ مدة طويلة، ولم يجرب عليه يوماً أو خداعاً، ثم إنه لا يقيم معه في الكفر، فهو من أهل مدينه فافوس وسكانها، ولم يتعرف عليه إلا بعد أن صار غنياً، لم يكن يعرفه في أيام فقره، ولذا فمن غير الوارد أن يستكثر عليه النعمة والخير الذي يمرح فيه الآن كما يفعل معه أهل الكفر، ولن يحقد عليه أبداً، ثم إنه يمكن أن يساعده في البحث عن المرأة المناسبة للزواج منه، فهو إذا فكر في موضوع الزواج فلا بد أن تكون العروس الجديدة من بلد بعيد عن الكفر؛ لأنه من الأفضل له أن يظل هذا الزواج سراً، علي الأقل حتى ينجب الولد، وبعدها لو انكشف أمر زواجه، وحتى لو عرفت به زوجته وبناته، وحتى لو عرف كل

الناس به، وحتى لو أذن به المؤذن من فوق سبع مآذن.. لن يهتم ولن يكثر، ما دام جاء بالولد، يمكنه لحظتها أن يتحدى أي مخلوق على ظهر الأرض، يتحدى زوجته وبناته، يتحدى الحاج أيوب مفتاح عمدة الكفر الذي استطاع أن يستعيد تفوقه ومكانته التي أوشك أن ينتزعها منه، لولا أن ظهر الأستاذ جمال صفى الدين مرة أخرى وتزوج ابنته نسمة، لم ينجب الحاج أيوب هو الآخر أي ذكر، لكنه جعل من جمال زوج ابنته ابناً له ((جمال هو الذي رفع رأس العمدة مرة أخرى في الكفر وحافظ على هيئته التي سلبتها منه.. لقد استطاع العمدة أن يقهرني بزواج ابنته من جمال صفى الدين.. لكنني حالماً أحصل على الصبي سأقهره أنا.. سأدمره مرة ثانية.. سيكون ابني أنا.. ومن صليبي أنا.. سيكون له كل أموالي.. سوف أعلمه سأكمل تعليمه الجامعي سيصير طبيباً مشهوراً.. لا.. سأجعل منه محامياً مشهوراً.. سيكون أكثر شهرة من جمال صفى الدين...))

وفجأة صفعه خاطر كئيب، لم يشأ أن يصفعه وحده فأشرك صديقه الحاج صالح في الحال بذعر: ((لكن ما العمل لو أسفر زواجي الجديد عن بنات، ولم تلد لي هي الأخرى ولداً !!!))

لم يفاجأ الحاج صالح بالسؤال، ويبدو أنه كان يعد لكل شيء؛ فلقد سارع بإجابة حاسمة: ((هذا يتوقف علي ذكائك أنت، وعلى الماعون الجديد)).

أطلق الحاج سعد عليه سهام الدهشة والحيرة: ((ما قصدك يا حاج صالح !!!)).

في الحال استدار إليه الحاج صالح بكل جسده، أهمل تماماً هوائيه الأثيمة في ملاحقة الأرداف الزجاجية السابحة عبر الطريق، وبسط راحتيه الفارغتين أمام الحاج سعد موضحاً له بهدوء وبنبرة الحكماء ورزانتهم: ((خذ مني يا حاج سعد.. إن الذي يتحكم في

إنجاب البنات أو الأولاد هو الماعون .. المرأة .. أنت تزوجت أم
سعدية فلم تتجيب لك غير البنات .. في هذه المرة لن تتزوج إلا
بامرأة تتجيب الأولاد فقط .. وهذا يجعلنا نبحت عن امرأة تكون أما،
امرأة مطلقة وقد أنجبت ذكورا، أو أرملة مات عنها زوجها وأنجبت
منه ذكورا .. في هذه الحالة تكون قد تصرفت بطريقة صحيحة.))

لم يجبه الحاج سعد، بل أسرع بدس أصابعه في جيب
الصديري الداخلي وأخرج علبة السجائر..أسرع بفضها .. انتزع
سجارة منها .. أشعلها .. شفت منها شقطة هائلة حتى أوشكت على
الاشتعال الكامل .. بسرعة نحاها عن فمه .. واصل متابعتها شفاه
صديقه بتركيز شديد وعيناه تلحان عليه بإصرار وتوسل أن يكمل
كلامه حتى نهايته.

ويبدو أن الحاج صالح قد أكمل كلامه فعلا، فهو لم يتطوع
بإضافة أي حرف آخر، مما دفع الحاج سعد إلى أن يستتجد به
مستفسرا: ((ولكن أين لي أن أجد مثل هذه الشروط كلها في امرأة،
وفي الوقت نفسه تكون مستعدة لإبقاء الزواج منها سرا .. لحين
الإعلان عنه بعد أن تلد لي الولد !!))

لم يكن الحاج صالح من البلاهة ليخبره في الحال أن هذه
المرأة موجودة فعلا، وأنها أخت زوجته التي مات عنها زوجها منذ
سنوات وترك لها ثلاثة أولاد ذكور، يتحمل هو تكاليف تربيتهم .. لم
ينس أنه تاجر الأسمنت، وأن المكسب الحقيقي يتأتى من إثارة شهوة
الزبون للشراء، وليس من جودة البضاعة نفسها؛ لذا أجابه بترتيب
وارتياب: ((عندما تنوي .. ونقرر أنت أمر الزواج .. بعد ذلك يمكن
بالبحث المخلص العثور على ما نريد.))

لم يتردد سعد، بل قال بشجاعة وبتصميم عنيذ -ابتهج
لسماعه الحاج صالح- : ((لقد قررت يا حاج صالح الزواج من امرأة

أخرى، توكل على الله، ابحث معي عن المرأة التي تتوافر فيها جميع شروطتي التي تعرفها، ويستحسن أن تكون من هنا من مدينة فاقوس))

غمر الارتياح كل صدر الحاج صالح، وهو يعتدل في جلسته متابعاً بنهم المراهقين المسعور كل ما برز من لحوم المارات، وقد تفاعل خيراً بقرب إزاحة عبء أخت زوجته وأولادها ونفقاتهم التي لا تنتهي عن كاهله .. وهمس إلى سعد مردهم أكثر من مرة على مسامعه ومطمئناً: ((توكل على الله . . خلال أسبوع على الأكثر ستكون مع زوجتك الجديدة .. أقصد أم أبنيك الذكر.))

الفصل الثاني

((كذب من ادعى أن النساء كلهن من عجينة واحدة))..هكذا أكد الحاج سعد لنفسه هذا الرأي الذي استنتجه بعد أن تزوج المرأة الجديدة التي استطاع بدهاء وذكاء أن يستر خير زواجه منها عن الجميع، حتى عن أم سعدية التي تجلس أمامه الآن في شكل يذكره دائما بشكل الغراب، فمنذ أن جمعته الجدران الأربعة والباب المغلق بزواج فاقوس وهو يتحسر ويندم على عمره الذي مر عليه من قبل دون أن يعاشر امرأة بحق وحقيقي، لقد اكتشف منذ الليلة الأولى أن أم سعدية لم تكن تنتمي في يوم من الأيام إلى قطيع النساء، فجسدها الأعرج الكالح وعظامها الحادة وفمها الذي يفوح دائما برائحة البصل أو الملوخية التي تفضلها صيف شتاء، فإذا لم تكن ملوخية خضراء كانت ملوخية جافة، وإذا قال لها غيري منها ردت عليه معاتبة ولائمة: ((هل ستكبر على النعمة لأن الله أعطانا المال؟! .. أليست هي التي سترتنا في أيام الفقر؟!)) ثم إنها لا تستحم إلا في يوم الجمعة بالنسبة لها هو يوم النظافة والغسيل وعلى كل فرد في البيت أن يخلع ملابسه القذرة ويستحم، وبقي أيام الأسبوع فلا استحمام ولا نظافة، بينما زوج فاقوس النظافة والاستحمام بالنسبة لها واجب يومي، لا يمكنها التخلي عنه أو الإهمال فيه، بينما جسدها الممثلة يفوح بروائح عطرة كأنها وردة بلدي بيضاء، لدرجة أنه شطح بخاله مرة وتساءل مستغربا: ((كيف يموت رجل له مثل هذه المرأة .. إنها تشفى العليل)) ، إنها المرة الأولى التي يري فيها امرأة .. حقيقة ترتدي له قميص نوم مثل الذي تلبسه الممثلات، في كل مرة تلبس له واحدا مختلفا عما قبله وأكثر إثارة، عندما كان يرى مثل هذه القمصان مع ابنته سعدية عندما كانت ترجع من السعودية طلب من أم سعدية في دلال وعشم أن تلبس له واحدا منها، فردت عليه متهمكة كأنه غبي: ((مثل هذا النوع لا يصلح لنا، لأنه لا يتشرب العرق، هذا يناسب الهوانم ممن لديهن الخدم، ولا يقمن بأي عمل في البيت)).

وأعطته درسا طويلا مملا جعلته يمتنع مرة أخرى عن طلب أي شيء يتعلق بتغيير هندامها أو الاهتمام بمظهرها، وكان راضيا بذلك دون تذمر، فلقد اقتنع تماما أن هذا النوع النظيف من النساء إنما خلق للعمدة والأفندية فقط .. فهي هو العمدة الحاج أيوب مفتاح تزوج من البندر امرأة مثل الموزة، الحاجة صفية بشرتها البيضاء تكاد تكشف عما يتدفق تحتها من دم، مرة واحدة تجرأ وسلم عليها لم يصدق لحظتها أنه أمسك بيد إنسان .. كانت مثل القطيفة ناعمة وطرية، وتذكرها في نفس اللحظة التي سلم فيها على زوجته الجديدة عندما اصططحه صديقه الحاج صالح لكي يراها قبل الزواج .. لم يصدق أن الله قد خلق اثنين من نفس عجينة الحاجة صفية زوجة العمدة .. لم يصدق لحظتها أن هذه المرأة يمكن أن تكون قد أنجبت ثلاثة أولاد من قبل، إن كل تضاريس جسدها متماسكة ونافرة وبارزة !! .. كأنها بنت بكر لم يمسسها بشر، وفي اللحظة نفسها قارن بين نفسه وبين العمدة، استبشر خيرا .. تملكه إحساس بالتحدي للعمدة .. شعر أن معركته مع العمدة لم تنته .. إنه بزواجه من هذه المرأة التي تشبه الحاجة صفية، سيكون الفارق بينه وبين أيوب مفتاح عمدة الكفر قد صار أضال مما كان عليه من قبل، فإذا ما تحقق حلمه وأنت له هذه الزوجة الجديدة بالولد، فلا شك أن الفارق بينهما سيكون قد تلاشى تماما .. لا .. لن يتلاشى تماما .. بالعكس .. سيكون هناك فارق كبير .. لكن لن يكون هذا الفارق لصالح العمدة علي أي حال . سيكون الفارق لصالحه هو ((الحاج أيوب لم ينجب ذكورا .. أما أنا .. فإن هذا الطفل سيرجح كفتي بشكل نهائي .. وإذا كان جمال صفى الدين يمثل دور الابن للعمدة فإن ابني أنا سيكون من صلبى .. يومها أنا متأكد تماما أن العمدة عندما يعلم بذلك سيدفن رأسه في التراب لن تكون لديه القدرة على مواجهتي والنظر في عيني .. ونذر على لو طال عمر ابني، وعاصر العمدة سأجعله يبصق عليه أمام الجميع عقب الخروج من صلاة الجمعة؛ حتى يتحادث بها الجميع .. سأجعل العمدة يموت قهرا وهما .. سأجعل ابني أفضل أولاد الكفر .. سأجعل

منه أغني أغنياء الكفر .. لن أرتاح إلا إذا صار في يوم من الأيام
مالكا لأرض الكفر كلها.. وأولها أرض الحاج أيوب))

هتف بداخل الحاج سعد هاتف متحمس ملتهب بالحق
والمرارة : ((ولماذا لا تبدأ في التفكير في ذلك من الآن؟... لماذا لا
تبدأ في شراء الأراضي له من الآن؟!!!))

وبالرغم من أن حماس النداء انتقل إلى مشاعره وأحاسيسه
بالتعبية، وأوشك أن يستجيب لرغبته المتعجلة .. إلا أنه تراجع في
اللحظة الأخيرة متوجساً حذراً .. وهمس لنفسه متمهلاً : ((لم يحسن
الوقت بعد .. يجب أن أنتظر حتى يأتي الولد وأراه بعيني وأمسكه
بيدي..عندما يتحول حلمي وأملى إلى حقيقة لها لحم ناعم طري ..
عندما يملأ صوته أذني .. عندما يتبول ببوله الطاهر على أنظف
جلايبي .. في ذلك الوقت فقط سأنتقل كالصاروخ لأجمع كل
أراضي الكفر له .. أما الآن فلا .. يجب أن أتمهل لثلاثة أشهر ..
والحمد لله لم يعلم أحد بزواجي .. لم يبق إلا القليل .. وذلك بفضل
زوج فاقوس الأصيلة..نوال..))

لقد رضيت منه بالقليل من وقته المتاح .. حتى لا ينكشف
أمره أمام زوجه القديم وبناته .. رضيت منه بساعات القيلولة .. وقت
الظهر يذهب إلى مسكنها .. يتناول معها الغداء ثم يختلي بها في
حجرة نومها لساعتين أو ثلاث يوماً .. كان يحرص دائماً على أن
يبين مع أم سعدية في الكفر .. كان حريصاً على عدم تغيير عاداته
معه .. في أحيان قليلة يزعم لهن أنه سيسافر إلي بورسعيد أو
الإسكندرية للتعاقد على صفقات الأسمنت .. ولكنه في الحقيقة كان
يقضي معظم تلك الليالي في فاقوس في بيته الثاني .. في الجنة ..
كان يشعر بأنه في الجنة عندما يكون بالقرب من نوال .. فالفارق
كبير جداً بينها وبين أم سعدية..((نوال تنتظر إليّ وتعاملني معاملة
حانية رقيقة .. تشعر دائماً بأنها مجرد زوجة ناعمة محتاجة إلى

زوج يحتويها ويحميها..مجر أنثى مولعة بذكرها)) لا يهمها أن تعرف منه أي شيء لا يود هو أن تعرفه .. لا تحب أن تتدخل فيما لا يعينها من أمر تجارته وصفقاته وماله .. لم يلحظ عليها أبداً أنها تقلق من أجل الغد .. لم تطلب منه مرة أن يؤمن مستقبلها معه .. أبداً لم تفكر مجرد تفكير في هذا الأمر .. كل همها هو إسعاده فقط .. راحته فقط .. في فراشه وفي طعامه .. وحياته وسلامه مع أسرته القديمة بالكفر .. فهي حريصة على أن تراجع ملابسه وهندامه قبل أن يخرج من عندها .. تتفحص وجهه بدقة حتى تطمئن إلى أن أحمر شفاهها لم يعلق بعضه على شفثيه أو خديه أو على رقبته .. كذلك تتفحص ملابسه بدقة .. وخاصة الداخلية منها حتى تتأكد أنها قد خلست من بقايا شعرها الأسود الناعم .. وخاصة أنه كان يلذ له دائماً أن يتحسسها بإعجاب شديد وانبهار.

حانت منه انتباهة إلى أم سعدية التي تجلس أمامه .. أدرك في الحال أنه يجلس مواجهها لها في بيته في الكفر .. وأن ظلام الليل يطل عليهما من النوافذ .. وأنه كان يسبح شارداً .. واعتقد أن شروده هذا لا ينتبه أحد إليه ممن حوله .. متناسياً أن أم سعدية امرأة في جواهرها .. وأنها تمتلك موهبة الزوجة وموهبة الأم .. فخمس وعشرون سنة من العشرة معه كفيلة بأن تجعل من قلبها ومشاعرها مجرد (ترمومترات) بالغة الحساسية والدقة .. لقياس كل حس أو شعور يمرق عبر جلد زوجها، أو رأسه النظيف من الشعر .. والتي تعرف هي وحدها أكثر من أي مخلوق آخر كيف يفكر سعد بهذا الرأس .. لذا كانت تجلس أمامه بسحنة مكفهرة غاضبة .. تتردد الحاج سعد في أن يسألها عن السبب الذي يجعلها تجلس هكذا مثل البومة .. كأنها لملت الكآبة من فوق وجوه كل البشر لتزين بها وجهها .. لكنه قرر ألا يسألها عن أي شيء .. وأنه من الأحسن له أن ينهض على الفور ويلقى بجسده في فراشه الشوكي هذا، ويغمض عينيه ليحلم بزوجه نوال حتى يأتي الصباح ليركب سيارته النصف نقل، ويفر بها إلى فاقوس .. حيث يعيش حياته الحقيقية .. بعيداً عن

النكد والقرف والبوم والغربان التي تعيش في وجه هذه المرأة
الفضيعة، التي تتعامل معه كشريك فظ في حياته وتجارته .. فهي
دائما تحاول التسلل بطريقة أو بأخرى إلى مكنون تفكيره وأماله
المادية لتعرف كل شيء .. وفي الوقت نفسه تكثر له من التحذير من
الوقوع في الخطأ حتى لا يضيع أموال البنات .. دائما تذكره أن المال
ليس ماله .. إنما هو مال سعدية وهو مجرد وكيل عنها في هذا المال
.. كأنها تشير إليه دائما من طرف خفي بأن يحذر من الغرور الذي
يركب بعض الرجال الذين يتدفق عليهم المال بعد فقر .. فيسارع
بتغيير وتجديد كل شيء قديم لديه وأوله الزوج .. لذلك صار يمل كل
الملل من حديثها معه .. فهي لا تعرف كيف تتكلم معه الكلام الذي
يربحه ويسعده مثلما تفعل نوال .. ولولا أنه يصمم على أن تتجح
خطئه في الاحتفاظ بسر زواجه حتى يصفع الجميع بميلاد طفله؛
لكشف لها في الحال ما يخفيه .. ولتضرب رأسها في ألف حائط ..
ولكن من الأفضل أن يتحمل ما يعانیه في هذا البيت القديم ولكن إلى
حين .. بعد الصبي لن يأتي إلي الكفر إلا قليلا جدا؛ لأن ابنه الطفل
الصغير سيكون في حاجة شديدة إلي وجود أبيه .. أما البنات هنا في
الكفر فلم تعد أية واحدة منهن في حاجة إليه..لقد صارت أصغرهن
في الصف الأول الإعدادي..لقد صارت حاجتهن إلي ماله فقط..وهذا
أمره سهل..

عندما شرع يستعد للنهوض من جلسته هذه للتوجه إلي فراشه
.. واضعاً راحتيه الأثنتين علي الحصيرة التي يجلس عليها منحنياً
فوقها، وقبل أن يرفع جسده متكئاً علي ساعديه سمع أم سعدية تخاطبه
بصوت مبحوح: ((أتتوي النوم من الآن؟! هل أصبح الجلوس معنا
مجرد واجب ثقيل علي نفسك?!))

للحظات قد تكون طويلة استمر الحاج سعد جاثياً علي ركبتيه
مستنداً علي كفيه .. حاول التخمين عما خلف الكلمات .. ماذا تقصد
أم سعدية بالضبط بتلك الكلمات .. المستهجنة المحتجة .. أهى مجود

عتاب زوجي؟ .. أهو مجرد دلال زوجة قروية جافة ثقيلة الظل،
تمهيدا لإثارة زوجها ثم اقتياده إلى فراش الزوجية لتحصل منه على
حقها المشروع في الجماع بالقوة؟ وخاصة أنه الآن لم يعد لديه أية
رغبة جنسية تجاهها على وجه التحديد .. لقد صارت بالنسبة له
الخبز الجاف جدا، الذي يصعب عليه ابتلاعه من قبل إنسان شبع .. أم
ماذا تقصد بالضبط؟ .. لقد فكر في أكثر من فكرة .. لكنه استبعد
تماما أية علاقة بين هذا النعيق الذي سمعه وبين سر زواجه من نوال
التي يحتفظ بها في بيت فاقوس .. لكنه في نهاية تخميناته قرر أن
يسألها مباشرة .. يقطع العرق ويسيل الدم ليرى ماذا ترمي هذه
المرأة بتلك الأسئلة الغامضة .. نظر إليها مغتاظا وقد عقد حاجبيه
الكثيفين فوق أنفه، وقال ناهرا لها: ((ماذا تقصدين بكلامك الفارغ
هذا؟!!))

لكن .. ما أن سألها حتى انفجرت باكية صارخة ملتاعة -
كانها كانت قدرا يغلي ويوشك أن ينفجر منتظرا من ينزع عنه الغطاء
المحكم الثقيل: ((أهذا جزائي يا قليل الأصل!!؟ أهذه هي مكافأتي على
صبري معك طوال هذا العمر!!؟ تتزوج امرأة ثانية من فاقوس!!؟ ..
ماذا ينقصك!!؟ .. هل لك أن تخبرني عما ينقصك!!؟ .. ماذا تتميز
هي عني!!؟ .. هل تزيد عني رجلا أو يدا!!؟ .. قد يكون معك العذر
لو لم أنجب لك .. لكن الحمد لله .. أنجبت لك خمس عرايس ..
يتمني أي إنسان أن يقبل تراب أرجلهن .. لكن ماذا أقول!!؟ ..
رجل ناقص .. رجل عيناك فارغتان .. كثرة الفلوس معك جعلتك
تتمرد علي النعمة .. حسبي الله ونعم الوكيل .. حسبي الله ونعم
الوكيل فيك يا سعد يا ابن خضرة .. تأكلني لحما وتلقي بي عظما!!))

في مواجهة هذا الانفجار البكائي المفاجئ .. لم يستطع سعد
الحراك .. جمد مكانه .. جمدت ملامحه .. التصق لسانه بسقف فمه
الواسع .. سقط في هوة عميقة من الذهول الحقيقي .. لم يصدق أن
هذه الكلمات التي يسمعهها تصدر عن أم سعدية .. أم البنات هي التي

تتجراً عليه وتسبه !!؟ .. أم سعيدة التي كانت ترتعش أمامه من مجرد رؤيته متجهماً عاصفاً !!؟ .. الآن تتحول إلى نمر شرس جائع يوشك أن ينقض عليه ناشياً كل مخالفه النارية في لحمه وعظامه .. لا تريد أن تصمت أو تتوقف عن الصراخ والسب له والدعاء عليه .. كأنها تستجمع له كل سباب العمر لكي تصبه عليه مرة واحدة .. كأنها أمسكت بفرصتها التي كانت تنتظرها منذ أزمان بعيدة .. لا تريد أن تلتقط أنفاسها وتهدأ حتى يتمكن من أن يشرح لها السبب الذي جعله يفعل هذا .. ويعرف منها كيف عرفت بهذا السر، ومن هذا الحاقد الحقير الذي أراد أن يخرب عليه بيته، يفضحه قبل أن يحقق حلمه الكبير ويأتي الصبي: ((لو عرف السر بعد مجيء الطفل لكان موقفى الآن قويا .. لكن هذه المرأة لم تزل تصرخ! .. لم يعد ينفع معها صراخي أو تهديدي لها)).

لقد فقد القدرة علي أن ينطق ولو بحرف واحد في مواجهة هذا الكم الهائل من الصراخ والسباب .. فكر أن يقاطعها بأية وسيلة، ويقوم بعرض وجهة نظره والأسباب الحقيقية التي دفعته إلي الزواج .. وأنه لم يفعل ذلك إلا من أجلها هي والبنات .. لكي يأتي لهن بطفل يخلفه بعد مماته ... لكنه أدرك أن مجرد شرح الأسباب في هذا الوقت بالذات سيكون نوعاً من الاعتذار عن الخطأ الذي ارتكبه من وجهة نظرها .. بينما هو لم يعد لديه أي شك بأن ما فعله إنما هو الصواب بعينه .. بل وكان من الواجب عليه أن يفعله منذ زمن بعيد .. ما كان عليه أن يراعي أي خاطر لهذه البومة التي تسبه وتتجراً عليه .. لذلك قرر أن يظل محتفظاً برجولته السابقة في مواجهتها .. وما دام السر الذي كان حريصاً علي ستره قد عرف لمن يهتمه الأمور .. فلم يعد هناك ما يخشاه .. ولتضرب رأسها ألف مرة في أصلب صخرة .. ولأن الكلام معها قد يريحها .. فهو لن يريحها أبداً .. سيجعلها تندم طوال عمرها علي كل ما تفوهت به في وجهه الليلة .. سيلقنها درساً لن تنساه ((بيت فاقوس الآن أولى بي)).

لذا نفّض نفسه واقفا .. بوجه حجري متجههم يطفح بالغضب
والسخط .. لم يكتف بهذا بل أسرع باصقا علي وجهها قبل أن يغادر
بيته في صمت كامل .. واثبا بتوتر إلي سيارته النصف نقل .. إلي
فاقوس .. إلي بيته الثاني .. إلي الصدر الحنون .. الجنة .. لعله
ينسى ملامح هذه البومة..

وانطلق بسرعة البرق.. كأنه لن يرجع إلي الكفر مرة ثانية.

الفصل الثالث

تشكل وجه سعدية خريطة هم قاسية التضاريس منذ اللحظة التي أقبلت أمها إليها مهرولة فيما يشبه الجنون.. كان لديهم جميعا- قبل مواجهته - بقية من أمل .. توقعوا أن يرتد عن فعلته خجلا .. توقعوا أن يعتذر لهم جميعا، ويطلق تلك المرأة التي ضحكت عليه وتزوجته من أجل ماله .. في الحقيقة توقعوا أشياء كثيرة .. لكنهم لم يتوقعوا أبدا تلك الشراسة التي تصرف بها مع أمهم .. لذا استحالنا عينا سعدية إلى نبعين فوارين بالمرارة .. بينما صار فمها بركاننا نشطا لا يتوقف عن قذف حرقه أعماقها وقهرها الدفين في تجاويها منذ طفولتها، وسخرية زميلات المدرسة منها، ومعايرتهن لها بأبيها (سعد الأقرع) مرابع زربية العمدة .. كانت تصرخ في وجه زوجها الدكتور أنور حسن مرة .. ثم تفح هجيرا في وجه أمها مرات .. عوت في وجه زوجها مستفزة له ناكشة فيه رجولته الخامدة : ((الست رجلي !!!.. لماذا لا تتدخل وتحمي أموالي !!!.. إنها أموال أولادك .. لا يمكن أن تقف هكذا صامتا.. بينما امرأة أخرى تضحك على أبي وتستغل طبيئته وسذاجته وتجرده من أموالي..تعبي..ثمن اغترابي..))

أجابها زوجها بثورة مفتعلة: ((وماذا على أن أفعل !!! .. أنت المخطئة في كل الأحوال .. لماذا أعطيت أبأك أموالك دون حساب !!! .. لو لم يكن لديه المال لما فكر في الزواج من أخرى ويتخلى عن أخلص زوجة في الوجود!!)).

قالها هو يشير إلي أم سعدية، مما جعلها تطور نشيجها المكتوم إلي بكاء حار مستعر، كاشفة رأسها ناظرة إلي السماء داعية علي سعد ابن خضرة الذي أكلها لحما وتركها عظما .. ثم استدارت إلي ابنتها سعدية لتطمئننها من بين دموعها وبإصرار وتأکید متوحش:

((فلوسك يا سعدية سترجع .. سترجع كلها .. لن أسمح بأن تأخذ منها زوجة فاقوس قرشا واحدا.. حتي ولو أدي هذا إلي أن أقتله أنا بيدي، وأدخل السجن))

قاطعها الدكتور أنور موضعا بهدوء مفاجئ: ((لن يصل الأمر إلى القتل أو السجن-لا سمح الله- يا خالة.. باختصار شديد.. حق سعدية زوجتي سيعود إليها إما بالتفاهم مع عمي الحاج سعد.. أو عن طريق المحكمة والقضاء، لو رفض التفاهم والحل السلمي))

قاطعته سعدية هادرة بلوعة وأسى : ((هل سيصل الأمر بي إلي الوقوف في وجه أبي أمام المحكمة؟! .. هل هذا جزائي يا أمي؟!.. أفعل معكم خيرا لينقلب علي شرا!!!))

صاحت أمها بمرارة دامية: ((ليتك لم تذهبي إلي السعودية!! .. ليترك لم تأتي بالنقود .. لقد كنا فقراء .. لكننا كنا سعداء .. لولاها ما فكر أبوك في النظر إلي امرأة أخرى))

لم تتمالك سعدية نفسها من الغيظ، فانفجرت محتجة في وجه أمها: ((أنا لم أسافر وأغترب كي يتزوج أبي من زوجة ثانية.. أنا لم أعطه مالي إلا لكي يستثمره لي .. المال مالي أنا وحدي .. لا يحق له أن يتصرف فيه لنفسه .. لقد تساهلت معه لأنه أبي .. كنت أعتقد أنه يتصرف فيه لصالحه .. ولكي ينفق عليك وعلي أخواتي البنات .. لكنني .. يبدو أنني كنت بلهاء .. بعض الناس همس في أذني محذرا من وقوع ما وقع .. لكنني كنت ساذجة .. لم أستمع إلي نصائحهم .. لكن من الآن لن أترك معه قرشا واحدا .. سأستعيد كل أمواله منه .. سأستردها جميعها .. أنا وزوجي وأولادي أحق بمانا))

أنقلب قلب الدكتور أنور إلي راقصة ليل خبيثة لمجرد سماع الكلمات الأخيرة من زوجته سعدية .. اكتشف أخيرا أنها ليست كتلة

من الاستسلام المطلق لأبيها كما كان يعتقد.. رقص قلبه ملتهبا بلون
الحقد .. متوهجا بلون الشماتة .. لم يكن المال الذي قد يعود إلي
زوجته وإليه هو الذي يطربه .. بل الشماتة في سعد الأقرع .. تخيله
وقد سحبت منه هيئته المالية .. سيعود حتما كما كان .. قبل أن
تذهب سعدية إلي السعودية وترسل إليه المال .. كما حكي له البعض
من أهل الكفر .. كان شيئا مهما .. كان يرى طوال النهار مشمرا
عن ساقيه مهرولا خلف زوجين من الحمير المحملين بسباخ وروث
البهائم من معلف العمدة الحاج أيوب مفتاح .. لحظتها لن يحزن عليه
أبدا .. لن يرثي لحاله .. بل سيذكره دائما بالمر الذي سقاه له قطرة
بعد قطرة .. سيطلق زمام كراهيته له .. تلك الكراهية التي زرعتها
في قلبه سعد نفسه .. ومنذ الأيام الأولى التي تقدم فيها الدكتور أنور
حسن للزواج من سعدية ابنته .. فبالرغم من أنها ليست علي أي قدر
من الجمال .. مما يجعل سعرها في سوق النساء المطلوبات للزواج
لا يزيد عن سعر نعجة .. إلا أن أباه لم يرحب به في الحال .. بل
راح يضع في طريقه الكثير والكثير من الشروط والعقبات .. كان
دائما يردد عقب كل شرط من تلك الشروط أنه إنما يفعل ذلك حتى
يحافظ علي حق ابنته .. ولأن الدكتور أنور كان أكثر خبثا منه ..
وكان أكثر طمعا في مال سعدية أكثر من أبيها .. وكان يدرك تماما
أن الحاج سعد إنما يفعل ذلك حتى يحتفظ بابنته ومالها لنفسه مدى
الحياة .. وأنه يبخل بها وبمالها علي أي رجل غيره؛ لذا قرر أن
يتحمل .. قرر أن يقبل كل شروط سعد مهما كانت جائرة .. لذا قبل
أن يكون المهر ثلاثة آلاف جنيه .. وأن يكون مؤخر الصداق عشوة
آلاف جنيه .. كان الزواج بالنسبة لكليهما صفقة .. كل واحد منها
ينوي أن يكسبها .. فالدكتور أنور دكتور بيطري .. ألم بمعلومات
وافية عن أموال سعدية وحكايتها بالضبط .. وذلك عندما كان هو
الدكتور البيطري المكلف بالإشراف والعناية الطبية لدجاج مزرعة
سعدية وأبيها .. كان يأتي إلي المزرعة ثلاث مرات في الأسبوع
الواحد كما ينص العقد الذي وقعه معه سعد عندما أنشأ هذه المزرعة
.. وما أن علم بخبر طلاقها من زوجها الأول حتى تضخمت أحلام

الغنى في ذهنه .. لقد أيقن بينه وبين نفسه أن الزواج من سعدية سيكون الحل لجميع مشاكله المادية والنفسية .. فهو خريج جديد من كلية الطب البيطري .. ومرتبته لا يكفيها هو شخصيا مصاريف خاصة وسجائر ومواصلات .. وهو في الوقت نفسه الابن الأكبر لأسرة فقيرة تتكون من أبيه المزارع وأمه وإخوته الخمسة .. بهذا لن يكون أمامه غير واحد من حلين .. فلما أن يسافر إلى الخارج .. وهذا أمر أكثر من صعب .. لأنه علي الأقل لن يستطيع تدبير أكثر من ثلاثة آلاف جنيه مصاريف السفر و(الفيزا) .. واحتمال الفشل بعد ذلك وبعد كل هذه المصاريف ما زال واردا وقائما .. أما الزواج من سعدية فهو حل شبه مضمون إن لم يكن مضمونا تماما؛ لذلك استمات في الزواج من سعدية .. اعتبرها صفقة عمره .. لم يفكر أبدا في التراجع عن إتمامه، قرر أن يكون كقرادة الحيوانات .. حتى عندما اعترضت أمه بشدة عليها لأنها متزوجة من قبل .. وأن ابنها الدكتور لا يجب أن يتزوج من امرأة مطلقة .. فهو دكتور وشاب .. ولا بد من أن يتزوج من فتاة عذراء وبكر ومن عائلة محترمة .. لم يستمع لأمة .. بل سخر منها بينه وبين نفسه .. في الحقيقة سخر من أفكارها القديمة عن الدكاتره .. لم تستطع أن تستوعب بعد مستجدات هذه الأيام وأثر المال .. كما أنه لم يصنع إلي بعض أصدقائه ممن لمح له بأنها ليست جميلة .. وأنها لا تسيل لعاب الرجل في فراشه .. أخرج لهم جميعا لسانه ساخرا منهم قائلا: ((عندما تطفأ الشموع تتساوى جميع النساء))..

صارحه البعض بأن أباها رجل لا يطاق .. إنه رجل نذل لا يمكن التعامل معه .. إنه محدث نعمة، وسيسم بدنه كي يحصل على قرش واحد منها .. لكنه قرر بينه وبين نفسه أن يخادع الحاج سعد .. سيتحمل ثقل ظله وكلامه الجارح .. لن يغضب منه .. حتى بعد الزواج عندما كان يردد له دائما بين وقت وآخر أنه تفضل عليه وقبل زواجه من ابنته بالرغم من فقره .. وكان يردد له أنه ضحى كثيرا عندما وافق على زواجه من سعدية .. كان يبشع أنور .. لم يكن يرد

عليه . لقد قرر أن يربح الصفقة .. حتى بعد أن أنجب من ابنته
طفلين كان يواصل ذبحه بهذا الكلام السام..

في إحدى المرات افتعل معه نزاعا، وهدده بضرورة دفع
مبلغ إيصال الأمانة الذي أخذه عليه عندما تقدم للزواج من سعدية منذ
ثلاث سنوات .. فلم يكن الدكتور أنور يمتلك الثلاثة آلاف جنيه مهر
سعدية الذي طلبه سعد منه .. واقترح أن يعطى الحاج سعد إيصال
أمانة بالمبلغ .. وبعد أن فكر سعد في هذا الموضوع .. قرر الموافقة
.. متظاهرا بالطيبة وإظهار حسن النية تجاه زوج ابنته الجديد حتى
ينفي عن نفسه الإشاعة التي تتردد علي السنة أهل الكفر من أن سعدا
طلق ابنته ولن يزوجها أبدا طمعا في أموالها .. وفي الوقت نفسه
أدرك أن إيصال الأمانة سيجعل من زوج ابنته عجينة لينة في يديه ..
سيتمكن من تشكيله .. ومن إذلاله كلما شاء.. وكذلك سيوفر الأجر
الذي يتقاضاه منه للإشراف علي مزرعة الدواجن .. سيفكر في زيادة
مساحة المزرعة .. سيوكل أمر الإشراف عليها كلية للدكتور
البيطري الذي سيقم في الكفر بشكل دائم .. في البيت الحجري الذي
بناه وكتبه باسم ابنته .. حتى يحفظ لها حقها من أن يطعم فيه زوجها
الجديد .. فالدنيا لم يعد بها أمان.

وكم ضاق أنور بزوجه سعدية لهذا الاستسلام الكامل لإرادة
أبيها .. لقد كل وتعب من تكرار نصحتها بضرورة محاسبة أبيها
ومعرفة أموالها .. كان يردد عليها بأن صغارها أحق بهذا المال من
الآخرين .. قال لها محذرا بأن مالها سيقسم بعد موته كميراث بين
الجميع .. المال مالها، ولا يجب أن تفرط فيه إلي أي مخلوق حتى
ولو كان أبيها .. لكنها كانت في كل مرة تصده بطريقة أو بأخرى ..
حتى يأس منها وصار يستشعر تجاهها نفورا واشمئزازا .. أوشك أن
يسلم تماما بخيبة أمله وبأنه خسر صفقة عمره الذي ضحى بكل شيء
من أجلها.. وأصبح يردد بينه وبين نفسه المثل الشعبي ((يا أخذ القرد
علي ماله .. بكره يروح المال ويبقي القرد علي حاله)) صار مقتنعا

تماما بهذا المثل .. ندم لأنه لم يستمع إلي تحذيرات الآخرين ..
تأسف أكثر لأنه لم يستجب إلي رجاء أمه بعدم الزواج من هذه المرأة
المطلقة .. صار عصبيا طوال الوقت في بيته الذي أمسى يذهب إليه
في وقت متأخر .. ثم إنه لم يعد يطيق أن يلامس جسده سعية
في فراش واحد .. كان يتعلل بكاء الأطفال .. ويذهب للنوم في
غرفة أخرى .. كان يشعر بالهزيمة في مواجهة أطماعه .. زادت
أحقاده وتفاقت علي سعد .. لقد انتصر عليه .. فاز هو بالصفقة ..
ولكن ما كان له أن يفوز لولا هذا الاستسلام والتسليم المقيت من
جانب سعية .. وصار بين نارين .. يقف حائرا مضطربا بين فكي
تمساحين فاغرين .. حياة زوجية مقررة مع زوجة لا تحبه، ولا
تستجيب لنصائحه باسترجاع المال من أبيها .. ولا هي جميلة
تعوضه عن شخصيتها الضعيفة .. وكذلك لا يمكنه أن يفكر مجرد
تفكير في الطلاق والانعقاد منها ومن سجن أبيها .. لأن هذا معناه أن
ينتصر سعد ويأخذ من الدكتور مبلغ العشرة آلاف جنيه مؤخر
الصداق، بالإضافة إلى إيصال الأمانة ... وهو الذي لا يمتلك منهم
مائة جنيه .. وحتى لو كان يمتلكهم .. فمن المستحيل أن يعطيهم
لسعد كي يخرج هو من الصفقة رابحا، واسودت الدنيا في عينيه .. لم
يعد لديه أي أمل في تحسن الحال .. بدأت ترحف علي مظهره
علامات الاكتئاب .. بدا شعر لحيته يتطور بسرعة فوق جلد وجهه
كنباتات شوكية شيطانية .. لم يعد يميل إلي الخروج من بيته إلا
للضرورة .. كان ينزوي وحيدا في إحدى الغرف .. يصرخ في وجه
سعية إذا ما اقتحمت عليه غرفته ..

لكن الصدفة السعيدة وحدها هي التي جعلته يلبي دعوة
صديقه مدحت حنفي لتناول الشاي في بيته عندما قابله في فاقوس بعد
انقطاع بينهما دام أربع سنوات .. تمنع الدكتور أنور في أول الأمر
معتذرا بأن الوقت غير مناسب .. لكن صديقه وافقه علي ذلك وطلب
منه فقط التعرف علي مكان السكن أولا .. ثم بعد ذلك سينتظر منه
زيارة علي الغداء هو وزوجته والأولاد .. زيارة عائلية .. تكون

بداية لتجديد عرى المحبة والصدقة القديمة منذ أيام الجامعة والسفر بالقطار يوميا معا إلي جامعة الزقازيق .. وبينما كان الدكتور أنور يتأبط ذراع صديقه متجها إلي مسكنه .. إذ به يرى الحاج سعد يهرول أمامه، ثم يدخل عبر بوابة إحدى العمارات الضخمة الفخمة، لم يعر الأمر اهتماما؛ فلم يكن تصرف الحاج سعد في البداية يثير ريبة أو شكا .. لكن عندما أشار صديقه إلي البيت المقابل للبيت الذي ابتلع الحاج سعد قائلا: ((هذا هو بيتي يا دكتور أنور.. هل تفضل وتتناول معي الشاي؟))

في تلك اللحظة فقط لم يجد أنور لديه أي اعتراض لتلبية الدعوة .. بل على العكس من ذلك تفتحت في أعماقه رغبة متوجسة للعودة مع مدحت .. فكر أن يستدرجه في الحديث عن هذا الرجل الذي دخل أمامهم إلي البيت المقابل لهم.

لو لم ير الدكتور أنور كل شيء بعينه، لما صدق كل ما قاله صديقه عن زواج الحاج سعد.. وود لحظتها لو تحمله طائفة نفائسة وتلقي به في وجه سعدية وأمها.. لقد فاز هو أخيرا .. حصل علي دليل اتهاماته المتكررة لأبيها .. ها هو يستثمر أموالها وأموال أولادها بمنتهى الأمانة - كما كانت تقول له كلما حذرهما من تصرفات أبيها - ها هو يستثمرها في الزواج من النساء . ها هي أموالك يا سعدية تبخر علي ملذات أبيك .. أموال أولادك .. تعبك وثمر اغترابك يضيعها أبوك الأمين الذي يتقي الله - كما تدعين - علي النساء .. الصدفة جعلتني أعرف هذه المرأة .. ربما كان هناك غيرها ولا نعرف عنهن شيئا .. وووو .. لم تصدقه .. ردت عليه بحزن وشك: ((أنت تكذب علي.. أنت توقع بيني وبين أبي!!))

لم يفعل .. سيطر علي أعصابه تماما؛ حتى لا يخسر كل شيء .. في اليوم التالي أصطحبها إلي بيت صديقه ورأت كل شيء بعينها وسمعت من زوجة صديقه مدحت أن أباه قد تزوج هذه

المرأة منذ ستة أشهر وأنها حامل في شهرها السادس .. وأنه ينفق عليها ببذخ فالناس تقول عنه أنه مقاول غني جدا..

لم ترتح سعدية إلا بعد أن رأت هذه المرأة التي استولت علي أبيها وأموالها .. لكن راحتها استحالت إلي شقاء عصيف بكل كيائها .. لقد كانت المرأة علي قدر هائل من الجمال .. لم يكن هناك نقاط تشابه علي الإطلاق بينها وبين أمها لتقارن بينهما .. ابتلعتها دوامة من الجنون .. كادت تعصف بعقلها تماما .. لولا أن زوجها أخذ يهدئ من توترها..

كما صدمت أمها عندما علمت، لكنها طلبت منهما أن يتكتما علي هذا الخبر حتى تفتحه هي بطريقتها الخاصة مع سعد .. وتحاول أن ترده عن غيه .. وتستخدم معه أسلوبا طريا حتى يمكنها أن تسترد أموال ابنتها من بين يديه .. ستجعله بطريقتها الخاصة يعتذر عما فعل ويطلق المرأة الجديدة التي سحرت له، ويرد أموال سعدية إليها .. بالطبع لم يطمئن أنور أو سعدية إلي هذا القدر الكبير من الثقة بالنفس التي تكلمت وفكرت به أم سعدية .. وخاصة أنهما رأيا معا جمال الزوجة الباهر .. ولكن علي أي حال لم يكن أمامهما غير الانتظار..

الآن سعادة الدكتور أنور مضاعفة .. فهو يرى لأول مرة زوجه سعدية تشعر باستقلاليتها وشخصيتها المنفصلة بعيدا عن أبيها الذي ابتلع كل شيء في بطنه الواسع..

أفاق الدكتور أنور من حالة السعادة التي تستغرق كل كيانه علي توسلات أم سعدية الباكية: ((يا دكتور أنور أنت الرجل المسئول عنا الآن .. نحن ضعفاء .. وخروجنا من هذه المشكلة لايد وأن يكون علي يدك يا ابني .. لايد أن نلحق أموال سعدية قبل أن تلد له المرأة ولدا ذكرا ويكتب باسمه كل الأموال..))

صرخت سعدية من جديد بحرقة وقهر: ((يا رب.. يا رب .. هل يرضيك هذا !!!))

قاطعها الدكتور في جدية هادئة، وثبات المسئول عن الأمور العظام: ((كفي عن النواح والصراخ .. هذه الأشياء لن ترجع حقك .. علينا أن نفكر بعقل وروية .. هل هناك أية عقود أو أوراق بينك وبين عمي الحاج سعد .. توضح حقك في هذه الأموال !!!))

لم تجبه سعدية علي الفور .. بل نظرت إليه بضيق وسخط ثم قالت ناهرة له: ((أنت تعلم جيدا أنه ليس هناك أية عقود أو أوراق بيني وبين أبي .. ومنذ أن كتبت له التوكيل العام منذ أن كنت في السعودية ليأخذ أموالي ويستثمرها لم يكن هناك أية عقود أو أوراق .. لأنني بمجرد إنهائي للعمل في السعودية أقمت معه في نفس البيت حتى طلقت من فرج زوجي السابق .. لذا لم أستطع أن أطلب من أبي أية عقود...))

قاطعها الدكتور أنور موضحا: ((إذن الموضوع يحتاج إلي محام أمين .. ويجب أن نتحرك بسرعة وفي سرية تامة .. قبل أن يتصرف عمي الحاج تصرفا عنيدا نخسر بمقتضاه كل شيء .. فربما فكر في نقل كل الأموال إلي الزوجة الثانية زيادة في وغيظكم.

صرخت سعدية في وجه الدكتور أنور بلهجة أمرة: ((بأكر سنذهب معا إلي المنصورة .. إلي الأستاذ جمال صفى الدين .. يجب أن نستشيريه ونأخذ رأيه .. لن أسكت أكثر من ذلك .. لن أسمح لحقي بأن يضيع مني أبدا))

هز الدكتور أنور رأسه موافقا على ما أمرت به .. وبعد أن توقف عن الكلام للحظات كأنه يفكر .. رفع رأسه مستدركا: ((لكن

لماذا نذهب غداً إلى المنصورة ويرانا الجميع، وقد يتسرب الخبر إلى
الحاج ؟ .. غدا هو يوم الخميس .. وسوف يأتي الأستاذ جمال صفى
الدين وأسرته كعادته كل يوم خميس ليقتضى ليلى الخميس ونهار
الجمعة في فيلا العمدة))

بسط الارتفاع فجأة كل أجنحته فوق وجهي سعيدة وأمها
لسماع ذلك .. ورفعت سعيدة يديها إلى السماء داعية بألم وأمل: ((يا
رب الهمني السكينة والصبر حتى ألتقي مع الأستاذ جمال .. أنت
وحدك تعلم مدى العذاب والتعب الذي أصابني من أجل الحصول على
أموالي .. يارب ..))

الفصل الرابع

ولأن ليل الانتظار -الذي قد يأتي- أطول من الليالي الأخرى .. لذا كانت سعدية -علي وجه التحديد- تشعر أن صباح اليوم التالي .. يوم الخميس الذي سيأتي فيه الأستاذ جمال .. هو صبح بعيد عنها جداً .. ومما زاد قلقها وتوترها هو هذا التوجس الذي تسرب إلي ما تحت جلدها، وجعلها تتقلب في فراشها طوال الليل..هلي سيأتي جمال إلي الكفر كعادته التي لم يخلفها منذ أن تزوج نسمة ؟ .. أم أن الحظ السيئ سيلعب دوره ويعطل مجيئه !!! .. ولذلك أيقظت زوجها الدكتور أنور من نومه أكثر من مرة لتقترح عليه أن يسافرا معا إلي المنصورة، ويقابلا الأستاذ في مكتبه .. لكن أنور يرد عليها بضجر علي إثر انتزاعه من نومه، الذي صار ممتعاً له خلافاً للأيام الخوالي: ((سلمي أمرك لله ونامي .. سننتظر الأستاذ هنا .. في الكفر .. إن مجيئه إلي الكفر عادة لم يغيرها أبداً منذ زواجه حتى الآن .. أنت تعرفين ذلك .. قد نذهب إليه المنصورة ويكون هو في محكمة أخرى .. خارج المنصورة .. سيضيع مجهودنا هباء))

لم تكف سعدية عن مواصلة النقاش مع زوجها .. ليس اقتناعاً بوجهة نظره .. لكن لمحاورة هواجسها التي باتت تسكن في صدرها: ((ماذا لو فشل الأستاذ في الحصول علي حقي من أبي .. ماذا لو عاندني أبي، وكاد لي أنا وأمي وكتب كل ممتلكاته للزوجة الثانية !!! .. كيف سنصرف معه !!! .. هل سنترك لها مالنا هكذا ونستسلم ونضيع !!!)) .. ويزداد لهيب الغضب والخوف في أعماقها تأججاً واشتعالاً وتسرى برودة في كل أعضائها .. حتى لتشعر بأنها قلربت من الموت وطلوع الروح .. وفي اللحظة نفسها التي ترحب فيها بالموت وتتمناه؛ حتى ينفذها من هذه المصائب التي انهالت عليها مرة واحدة -ودون سابق إنذار- تتراجع عن هذه الأمنية .. تؤجل الموت إلي ما بعد الحصول علي حقها .. تسلمه لأولادها .. ثم تموت

((الموت لا يخيف .. الظلم هو المخيف .. أن يذهب شقائي وتعبني
إلى زوجة أبي الجديدة هذا هو الرعب والخوف بعينه .. هذا أقسى
علي نفسي من الموت))

لذلك تسارع إلى إيقاظ زوجها من جديد لتسأله بقلق: ((أعتقد
أن الأستاذ جمال سينجح في استرداد أموالني من أبي!!!))

يصرخ زوجها فيها منزعاً: ((أما أن لك أن تخدم نارك هذه
التي ستحرق أعصابك وتقتلك قبل أن تأخذي حقك من أبيك !!! ..
غداً في المساء سيأتي جمال .. سيخبرك بكل شيء .. أما الآن فيجب
عليّ أن أخذ غطائي وأذهب إلى الحجرة الثانية لأنام فيها كعادتي ..
أريد أن أرتاح منك .. أف .. ما الذي جعلني أغير عادتي الليلة!!!))

في الحال نهض ممسكاً بغطائه متوجهاً إلى الحجرة الثانية ..
وهو يتأفف ويغمغم: ((المرأة ستجن .. بالتأكيد ستجن قبل أن يأتي
الصباح .. ربنا يستر ويحضر جمال في مواعده ولا يخلفه هذه الموهبة
بالذات .. وإلا ستجن حتماً مائة في المائة .. ستجن !!))

بالفعل كان حضور جمال صفى الدين عادة أسبوعية يعرفها
كل أهل الكفر .. منذ أن تزوج نسمة بنت عمدة الكفر الحاج أيوب ..
كان يعتبر هذه العادة الأسبوعية ديناً في رقبته وواجباً عليه .. ليس
تجاه عمه الحاج أيوب أو الحاجة صفية والذي زوجته وحبيبته نسمة
فقط .. بل كان يعتبره واجباً تجاه أهل الكفر جميعهم .. فمنذ أن عاد
جمال إلى الكفر بعد الهجر المفاجئ له؛ عندما فهم خطأ أن العمدة
وزوجه يرفضون زواجه من ابنتهما نسمة .. التي تعلقت بها روحه
تعلق الرئتين بالهواء .. منذ أن جاء إلى الكفر مدرساً في مدرسة
الكفر الابتدائية .. وبعد أن أطلق سعد الأقارع شائعته المغرضة التي
زعم فيها أن العمدة طرد جمالاً وأمه بالقوة والتهديد من الكفر تحت
جناح الظلام .. هادفاً بذلك إلى تأليب أهل الكفر ضد العمدة مستغلا
حبهم العميق لجمال ..

ولكن ما أن كشف سعد نفسه هذه المكيدة لجمال؛ حتى قرر جمال أن يعود إلى الكفر من جديد .. عاد وصبح للجميع كل شيء .. وانكشف لهم الدور الخبيث الذي لعبه سعد .. مما اضطره إلى الابتعاد عن الناس في الكفر من جديد .. كذلك اضطر إلى تقليص أماله وأحلامه الطفولية المفاجئة .. التي انفجرت شظاياها في كل تفكيره في يقظته ومنامه .. بل أوشك أن يعيش أحلامه كحقائق .. فراح يسلك سلوك عمدة الكفر المقبل .. بعد أن اعتقد تماماً أنه دمر الحاج أيوب عمدة الكفر نهائياً .. وأن أمراضه الجسدية والنفسية هي مجرد حلاوة الروح والأنفاس الأخيرة .. والمسألة بالنسبة له مسألة وقت لا أكثر ..

لكن ظهور جمال في الكفر من جديد واقتربه الجارف من العمدة من جديد .. بل وإعلانه الزواج من نسمة بدد أحلام سعد جميعها .. بل كانت شهادة جمال في المسجد في يوم الجمعة أمام كل أهل الكفر بأن الذي أشاع بأن العمدة طرده جبراً هو وأمه هو محض كذب واقتراء .. كانت هذه الشهادة في الوقت نفسه هي شهادة وفاء لكل أمال سعد في أن يصبح من كبار القوم معتمداً علي صرح ماله الذي أخذ يعلو ويعلو في سماء كفر مفتاح بل وامتد إلى مدينة فلوقوس نفسها بعد أن أنشأ بها مؤسسة المقاولات ومستودع بيع مواد البناء .. وعلي أثرها صارت علاقته بجمال علاقة فاترة .. يشوبها الكثير من الحنق والخجل من جانب الحاج سعد .. كلما تذكر أنه أفضى بسداجته بأخطر أسرار حياته .. تلك الخطابات التي كان يرسل بها إلى كل عريس يتقدم لخطبة نسمة ابنة العمدة .. يتهمها فيها - كذباً - أنها سيئة الخلق .. وأنها تمارس الجنس مع أحد زملائها بالجامعة .. لكن جمالاً تناسي هذا الأمر تقريباً، وعامل سعد معاملة المريض نفسياً .. أهمله تماماً .. في الوقت نفسه الذي التف كل أهل الكفر وخاصة الشباب منهم - وغالبيتهم من تلاميذ جمال - حول جمال وبالتالي دوار العمدة الحاج أيوب من جديد .. صارت (فيلا) الحاج أيوب في مساء الخميس ونهار الجمعة قبلة أصحاب الحاجات والمشاكل سعياً لقضائها وحلها علي يدي الأستاذ جمال وبحضور ومباركة العمدة .. ولذا كان شيئاً طبيعياً وعادياً أن يمر المارة بجوار (فيلا) العمدة في

مساء الخميس فتبهروهم الأصواء التي تضيء (الفيلا) داخلها وخارجها ..
ويسمع الأصوات العالية أحيانا والمنخفضة أحيانا أخرى .. بين
شاك أو مدافع عن نفسه .. ثم ضحكات الرضا تملأ صدور الجميع ..
وتحل المشاكل وتقضي المصالح .. دون ملل أو ضيق من جمال ..
دون تبرم من العمدة .. بل كان العمدة في قمة سعادته فلقد عادت من
جديد إليه وإلى (الفيلا) هيبة العمدة .. وعاد إليه - كما كان قبل
ظهور سعد كغني جديد ومحدث نعمة يطمح إلي السلطة ومنصب
العمدة - زمام الأمر في الكفر عاد إلي بيته .. حتى ولو كان الناس
يأتون إلي جمال .. فهذا الأمر لا يحزنه ولا يزعجه؛ فجمال هو زوج
ابنته .. بل هو بمثابة ابنه البار الوفي .. الوحيدة التي كانت تضيق
بهذا هي الحاجة صفية .. فلقد صار جمال بالنسبة لها أحب إليها من
الجميع .. لقد صار بالنسبة لها كالابن الحقيقي الذي رقد في رحمها
تسعة أشهر كاملة .. وفي كل يوم كانت محبته تنمو وتترعرع ..
فهي لا تذكر أبدا أنها طلبت من زوج ابنتها جمال شيئا وقال لها لا ..
فعندما طلبت منه أن يزورهم كل جمعة .. استجاب لها ولم يخلف
وعده لها .. إذا تكلم معها تكلم بأدب جم وحب ورقة .. وعندما
طلبت منه في تردد السماح لنسمة بالبقاء معها في (الفيلا) عندما
كانت في شهرها الأخير من الحمل؛ حتى تضع مولودها الأول .. لم
يتردد هو .. أجابها إلي طلبها في الحال .. عندما اقترحت أن يكون
اسم الطفل عمر .. وافقها في الحال .. ذلك فضلا عن المعاملة الطيبة
الرفيعة الناعمة التي يعامل بها ابنتها نسمة .. وكيف أنه لا يطيق أن
يلمسها أي مكروه .. يعاملها بحنان أكثر من حنان أمها وأبيها .. ينهض
أكثر من مرة طوال الليل لكي يحميها من البرد ويشد عليها
الغطاء .. يدللها كما لو كانت طفلته لا زوجته .. كانت الحاجة صفية
تسمع من ابنتها كل هذا فتشعر بالندم البالغ لأنها فكرت في يوم من
الأيام أن تقف في طريق زواج جمال ونسمة .. ندمت لأنها توقعت أن
هناء ابنتها وسعادتها ستكون مؤكدة مع خطيبها الأول دكتور كلية
الزراعة .. أيقنت بعد ذلك أن نظرة زوجها العمدة كانت بالفعل صائبة
عندما تعاطف مع جمال وتمنى أن يكون زوجا لابنته وابنا له ..

ولذلك كانت الحاجة صفية تتبرم بينها وبين نفسها من هؤلاء
الناس الذين يأخذون منها جمالا كلما أتى في يومي الخميس والجمعة

.. لدرجة أنها فكرت مرة ألا يأتي جمال ونسمة .. وتذهب هي والعمدة إليهما في المنصورة .. لكن الحاج أيوب زجرها غاضباً: ((وماذا أقول لأهل الكفر يا حاجة؟!)) .. هل أقول لهم أن جمالا هرب منهم .. وكيف أفتح جمالا في هذا الأمر، وهو الذي يحرص علي هذه اللقاءات بينه وبين أهل الكفر .. يجب أن تحمدي ربك لأن هيبة العمدة عادت إلينا مرة ثانية علي يد ابني جمال .. هل نسيت الأيام التي حاربني فيها سعد الأقرع ومن هم علي شاكلته؟! .. هل نسيت كيف كنا نعيش في حزن وبؤس؟! .. هل نسيت كيف كانت (الفيلة) مظلمة بشكل شبه دائم؟! .. هل نسيت هذه الأمراض التي احتلت علي جسدي ونفسي؟! .. أنا رجل تربى أبا عن جد علي خدمة الناس والجري والتعب من أجل قضاء حاجاتهم لله وفي الله .. تأتين أنت اليوم وتفكرين مثل هذا التفكير الأناني .. كي تحرمي أهل الكفر من جمال .. وتجلسي معه أطول فترة ممكنة؟!))

من بعد محاضرة التائب والتوبيخ هذه لم تعد الحاجة تفكر في هذا الموضوع مرة أخرى، بل كانت تقبله علي مضض .. ولم تكن تملك إلا أن تدعو الله تعالى أن تكون مشاكل الناس قليلة..

ولكن بعد أن هل عليهم حفيدهم عمر ملأ عليهم جميعا الدنيا .. خاصة الحاجة صفية والحاج أيوب .. واعتبره أهل الكفر ابننا للكفر كله ((فابن الأستاذ جمال هو ابننا جميعا)) . هكذا قالوها بفرح وإخلاص .. ولأن جمال يحب الناس ويتعامل معهم بتواضع .. لذا انتقلت العدوى إلي زوجته نسمة .. فلم تعد هي كما كانت نسمة ابنة العمدة التي تتحاشى الكلام مع الناس .. المبتعدة عنهم اجتماعيا .. بل صارت مندمجة مع أهل الكفر .. كانت تفرح بذهابها مع جمال لأداء الواجبات الاجتماعية .. في المناسبات المختلفة .. سواء في الأفراح أو في المآتم .. وصارت بالتالي هي الأخرى محبوبة من الكبير والصغير في الكفر .. وحتى ابنهم عمر كانت أيدي الكبار والصغار تتلقفه في حب واعتزاز .. كل يطمح إلي احتضانه وتقبيله وخاصة أنه صورة طبق الأصل من أبيه العيون الزرقاء والشعر الأصفر والبشرة البيضاء كالنبتة..

لذلك لم يتأخر جمال عن الاستجابة الفورية لدعوة الدكتور أنور زوج سعاد بنت سعد، عندما قابله عصر اليوم، وأوقف سيارته على الطريق الزراعي الضيق الداخل إلى الكفر .. مخافة أن يراه أحد من الكفر .. وشدد عليه راجيا أن يبقى الأمر سرا .. موضحا له أن سعاد وأمها في حالة انهيار تام منذ ليلة أمس، وأنهما يستغيثان به.

في الحال.. وبمجرد أن أوقف سيارته أمام (فيلا) العمدة وأنزل منها أسرته وأمها الحاجة الكبيرة أم جمال التي أنت معهم على غير عادتها.. سلم على من في (الفيلا).. ثم تسلل خارجا دون أن يلحظه أحد، وقبل أن ينتبه لحضوره أهل الكفر فيحيطون به ويعطلونه عن الذهاب إلى بيت الدكتور أنور.. وأشار إلى زوجته نسمة أن تجعل الأمر سرا كما سمعت بنفسها من رجاء الدكتور أنور.

وما أن وقعت عيون سعاد وأمها على طلعة الأستاذ جمال حتى أجهشتا معا ببكاء مريع ومرير ومستغيث .. وكأنهما لا تقويان على التوقف عن النواح .. صرخ فيهما الدكتور أنور شبه معاتبا: ((بهذه الطريقة في البكاء .. لن يتمكن الأستاذ من فهم الموضوع بكامله .. ستضيعان وقته دون فائدة .. تكلمي أولا يا خالتي أم سعاد)).

تكلمت أم سعاد .. من بين أنهار دموعها التي ما تلبث أن تكفكفها بين لحظة وأخرى، وكررت أكثر من مرة كيف أن سعاد المفترى قد أكلها لحما ورمها عظاما .. وأنه تزوج واحدة أخرى من فاقوس .. ضحكت عليه وأخذت منه أموال سعاد .. ثم قاطعتها سعاد بحرقة بعد أن تمالكت أنفاسها في حضور أستاذها ووضحت له أنها باختصار تريد جميع أموالها .. وذكرته بأن حضرته يعلم قبل غيره أن أباه لم يكن يملك قبل سفرها إلى السعودية مليما واحدا .. وإن الأستاذ بنفسه كان يعطف عليهم وعليه ..

قاطعتها جمال موضحا بهدوء حزين: ((شهادتي أنا لن تنفع في مثل هذه الأحوال .. فالقاضي لا يحق له أن يقضي بعلمه كما

يقول القانون .. لكن هذه قضية مدنية وأول ما يلزم فيها هو الإثباتات
المادية .. الأوراق .. المستندات .. هل لديك أية عقود أو مستندات
تثبت حقك عند أبليك يا سعدية؟))

أنفجر الوجوم فجأة ونشر ذراته علي وجوه الجميع .. ما عدا
الأستاذ جمال الذي ظل محققا في وجه سعدية متلهفا للرد .. لكن لا
إجابة .. حتي تطوع الدكتور أنور موضعا بعد أن تتحجج مرتين:
((للأسف يا أستاذ .. سعدية لم تستجب لنصائحي .. لم تأخذ أي
مستند علي عمي الحاج سعد!!!))

انعقد جبين جمال، وهز رأسه عدة مرات في صمت؛ فقد لمح
في أفق هذه القضية ملامح الصعوبة والتعقيد .. فقضية أحد طرفي
الخصومة فيها سعد .. والطرف الآخر ليس لديه أية مستندات .. لا
شك أنها قضية خاسرة .. لكنه مع ذلك لم ييأس بل عاود السؤال
بنفس الهدوء والتأني: ((ألا تذكرين يا سعدية أية خطابات بينك وبين
أبليك بخصوص استثمار مالك؟.. وخاصة عندما كنت في السعودية؟
.. ألا تذكرين أنك عملت له توكيلا .. أو كعوب دفتر الشيكات
الخاص بك التي كان يصرفها والدك من البنوك هنا؟ .. حاولي أن
تتذكرتي أي شيء من هذا القبيل.))

فاض الصمت المشوب بالترقب في كل الحجرة التي يجلس
فيها الجميع .. أغرقهم كلهم للحظات طويلة .. توجهت العيون كلها
إلي سعدية محملة بتوتر وقلق .. متوسلة لها أن تتذكر .. تتذكر أي
شيء .. وأخيرا نظقت سعدية مرتبكة: ((أذكر أن أبي أرسل لي خطابا
عندما كنت في السعودية طلب مني أن يستثمر الفلوس التي أرسلتها
له ليحفظها لي .. ولقد أجبت عليه بالموافقة .. كذلك أذكر أنه في أول
عطلة قضيتها في الكفر اصطحبني إلي الشهر العقاري في فاقوس
ووقعت له أمام الموظف المختص علي توكيل عام.. كما أنني غير
متأكدة إن كنت ما زلت محتفظة بكعوب الشيكات أم لا.))

هتف جمال وقد انتعشت روحه بعض الشيء: ((هذا جيد..
هل تحتفظين بهذه الأوراق؟..هل يمكن لي أن اطلع عليها الآن؟))

مرة أخرى انهارت سعدية وغرقت في البكاء من جديد،
وقالت من تحت برقع مدامعها: ((كان أبي هو الذي يحتفظ لي بكل
هذه الأوراق .. أي أوراق هامة تخصني كان يحفظها لي أبي .. لكن
لا أعرف أين يحفظها))

قاطعها الدكتور أنور، ووجه سؤاله المتوتر المستجدي إلي أم
سعدية: ((ألا تعرفين أين يخبئ عمي الحاج سعد مثل هذه الأوراق
ياخالتي؟))

أجابت أم سعدية بثقة وغل: ((نعم .. كان يضع كل الأوراق
المهمة في علبة من الصفيح لها غطاء محكم حتى لا تاكل
الصراصير والفئران الأوراق المهمة .. وكان يضع العلبة دائما فوق
الدولاب .. بعيدا عن أيدي البنات .. لحظة واحدة .. سأذهب على
وجه السرعة إلي البيت لإحضار العلبة .. أنا متأكدة أننا سنجد فيها
كل الأوراق اللازمة.))

وما أن هرولت أم سعدية إلى بيتها، حتى ران علي الجميع
سكون تام، كان سكونا مختلطا بألوان من الأمل والحذر والقلق في
الوقت نفسه.

الفصل الخامس

لم يفكر الأستاذ جمال صفى الدين أبدا في الانتقام من سعد أبو رزق لكل ما فعله من خلف ظهره..سواء تلك الشائعة الحقيرة التي زعم فيها أن العمدة طرده، وهدده هو وأمه بالقتل؛ لأنه فكر في خطبة نسمة .. أو في الدناءة والحقارة المجافية للضمير والإنسانية من خلال تلك الخطابات المزيفة التي يطعن بها شرف نسمة .. لم يخطر ببال جمال مطلقا أي شعور أو إحساس بالرغبة في الانتقام منه .. حتى عندما سافت الظروف إليه هذه السقطة الشنيعة لسعد بزواجه من امرأة أخرى وتحول زوجته وابنته سعدية إلى ألد أعدائه .. لم يفكر أيضا أن يستغل هذه السقطة للكيد لسعد والانتقام منه وتعريته وفضحه أو تجريده من كرامته أمام الآخرين..فهو وإن كان يتذكر كل ما فعله سعد من أفعال حمقاء ومشينة .. إلا أنه أيضا يذكر تماما ولا ينسى كل مواقف سعد معه ومع أمه وخاصة في فترة مرضه .. أصعب فترات حياته التي مر بها عندما صدم أكبر صدمة في حياته كلها .. عندما أخبرته أمه أن نسمة قد خطبت لرجل غيره .. أما أعمال سعد أبو رزق السيئة فسوف يحاسبه عليها ربه .. لذلك فهو لن يستغل هذا الخلاف الذي قدمته الظروف له لكي ينتقم من سعد .. لكنه عقد النية منذ اللحظة الأولى بينه وبين نفسه على أن هذا النزاع سيحله حلا وديا وعائليا .. بعيدا عن المحاكم .. فلا يمكن أن يسمح لنفسه مهما كان محاميا ذكيا وماهرا أن يكون نصيرا للسعدية على أبيها في قاعة المحكمة .. ففي النهاية يعتبر سعدية في مكانة تلميذته وابنته .. وكذلك سعد في مكانة صديقه وأخيه بالرغم مما بدر منه في لحظات حقد على الحاج أيوب .. لكنه في الوقت نفسه هو يعرف سعدا جيدا .. ويعرف نفسه الأمانة بالسوء دائما أكثر من أي إنسان آخر .. فسعد ليس بالرجل اللين الهين الذي يمكن أن تخضعه وتسيطر عليه الكلمة الحلوة الطيبة .. فهو من هذا الصنف الذي يخاف من الناس ولا يخشى الله .. وهو عنيد جدا .. ولو شعر بقدرته

فمن الصعب أن يعفو .. لذا كان على جمال أن يمسك في يده أية مستندات تثبت حق سعدية .. فقط لتهديده بها إلى أن يصل معه إلى حل وسط برضى سعدية ورضيه هو أيضاً .. أما موضوع زواجه من امرأة أخرى فلا شأن له به .. هو رجل حر وله أن يفعل ما يشاء .. فقط هو يريد أن يقف في مواجهة سعد في مركز القوة ليفاوضه حول حقوق سعدية المالية .. والأمل كل الأمل في الأوراق التي ستحضرها أم سعدية الآن من بيتها .. في ضوء هذه الأوراق سيحدد موقفه من القضية .. بعدها يستطيع أن يقترح على سعدية الإجراء الأفضل والأمل الذي يجب أن يتخذ تجاه أبيها.

وانطلق تيار من التوتر والقلق يلمس الجميع في أعماقهم السحيقة، عندما ترامي إلى أسماعهم همهمات وغمغمات قادمة من الباب الخارجي، أيقنوا على إثرها أن أم سعدية قد أنهت مهمتها، وأتت تحمل الصحيفة الحافظة للأوراق المهمة .. اشرايت أعناقهم في لهفة .. لكن خاب أملهم فجأة عندما سبقها نسيجها .. ثم أخبرتهم بلأن الملعون زوجها قد أخفى الصحيفة في مكان آخر .. ((ويبدو أنه يخبئها عند زوجة فاقوس .. إنه رجل خائن وثعلب بطبعه .. فكيف يكون تصرف الخائن غير هذا التصرف)) هكذا قالت بعد أن انفجرت باكية أمام الجميع.. ثم عقيت عليها سعدية بصوت أكثر فرعاً من أمها: ((المصيبة الكبرى تكون قد وقعت لو أنه تعجل وكتب لها كل الأموال كمهر لسيدة الحسن والجمال .. يا رب ضاع حقي .. هل يرضيك يا أستاذ جمال .. هل يرضيك هذا الظلم!!!))

ثم تحول كل كيائها إلى سحابة عاصفة ممطرة تكاد تطغي على كل الموجودين وتمتص كل أحاسيس الأمن والرجاء بداخلهم .. وتبرم الدكتور أنور .. قدر أن زوجته بهذه العصبية في هذا الوقت الخطير والحساس لن يجني من ورائها إلا سعدية المرأة المطلقة التي تزوجها طمعاً في مالها الذي لا تملك خلافة كعناصر جذب إلى امرأة في مثل قبح منظرها .. فتغلغل الغيظ في قلبه وصدره وأخرج زفيراً

من جهنم التي يُكْوَى بها وحده دون الآخرين .. تذكر اعتراض أمه على زواجه منها .. تذكر مثل القرد والمال .. فحفظت عيناه ممثلة بدموع خبيته وخسارته، وصرخ كمدفع هادر: ((كفاك ولولة .. كفاك بكاء .. أنت زوجة غير مطيعة لزوجك .. كم من مرة نصحتك وحذرتك من هذه الساعة التي كانت متوقعة .. لكنك كنت تسخرين مني .. كنت تشككين في كلام الصدق والإخلاص الذي أرشدك به .. وها هي النتيجة .. اشربي .. اشربي حتى ترتوي من إخلاص أبيك وأمانته!!))

تدخل جمال بهدوء وبامتعاض وأسي وهو مأخوذ بكل هذه الانفعالات الصاخبة التي تجار بها حناجرهم، وهمس كأنه يحدث نفسه بعد أن أشار للجميع بكفه طالبا صمتهم: ((يا جماعة .. ليس الوقت وقت صراخ أو انفعال .. وليس معني أنكم لم تعثروا علي الورق المطلوب .. أننا فقدنا كل شيء .. ما زال الوقت مبكرا علي اليأس والبكاء ولطم الخدود .. أرجو أن تتخلصوا حالا من هذه الانفعالات وهذا التوتر حتى نفكر بعقول صافية)).

ثم صمت للحظات .. وصمت معه الجميع .. وبدأ على كل واحد منهم أنه يحاول استرداد عافيته النفسية ويتخلص من دوامة الخوف والقهر التي ابتلتهم منذ معرفتهم باختفاء علبه الأوراق المهمة .. شرعت سعدية وأما بجسارة وتجلد بمسح دموعها بمناديل نسائية صغيرة مزينة بالورد الأحمر .. بينما أخذ الدكتور أنور يسترد هدوءه وخلع نظارته السمكة وراح يمسح زجاجها بقطعة قماش ناعمة يحتفظ بها دائما لهذا الغرض وقالوا معا بالصدفة وفي نفس واحد كأنهم علي اتفاق: ((تفضل يا أستاذ...))

قبل أن يتكلم جمال شمله سكون عظيم، ثم دعك كفا بأخرى كأنه يشعل كل أضواء فكره، وسأل سعدية: ((الم تخبريني عن توكيل عام كتبته ووقعتي عليه في الشهر العقاري بفاقوس؟))

أجابته سعدية في الحال: ((نعم يا أستاذ .. عملت لأبي توكيلا
عاما في الشهر العقاري بفاقوس))

سألها مستفسرا: ((هل تحتفظين بصورة من هذا التوكيل؟))
ردت فيما يشبه الأسف والحزن: ((للأسف .. فلم يكن يخطر
أبدا في بالي أن أبي يمكن أن يفعل مثل هذا .. ولذلك لم أكن مضطرة
للاحتفاظ بأية صورة أو أية أوراق!!))

من جديد زفر الدكتور أنور مستهجنا كلامها، ورشقها
بنظرات مفعمة بالكراهية والاشمئزاز، وأراد أن يعلق من جديد علي
خيبتها وعلى عدم طاعتها له .. لكن جمالا سبقه متعمدا وسأل سعدية
بتركيز: ((هل تتذكرين التاريخ الذي وقعت فيه هذا التوكيل لأبيك في
الشهر العقاري؟))

لم تجب في الحال .. سكنت بعض الوقت مما أعطي الدكتور
أنور الفرصة لكي يستفسر من الأستاذ عن أهمية أو فائدة هذا ..
فأوضح له الأستاذ: ((لو عرفنا التاريخ على وجه التحديد لأمكننا
استخراج صورة منه من الشهر العقاري .. كما يمكننا أيضا طلب
إلغائه .. وبذلك يصير باطلا قانونا .. ولا يحق للحاج سعد التصوف
بمقتضاه من تاريخ الإلغاء على الأقل))

عند ذلك أشرقت ملامح ابتسامة ارتياح فوق شفتي الدكتور
أنور الغليظتين، فبانت أسنانه الصغيرة المرصوفة كأسنان الفأر،
وشرع يحمس سعدية ويشجعها .. كأنه يقوى ظهرها في لحظات
المخاض، ويساعدها علي الولادة قائلا: ((حاولي التذكر يا سعدية ..
أرجوك ركزي تفكيرك جيدا...هذه آخر فرصة لنا و.....))

ويبدو أن سعدية لم تكن تنتبه إلي تحفيزه لها بالتفكير .. لأنها كانت منشغلة تماما باسترجاع تاريخ أول عطلة عادت فيها من السعودية .. وتذكرت أنها بعد عام كامل أثني عشر شهرا من تاريخ أول ذهاب لها إلي السعودية .. وفي التو سألت الأستاذ جمال مستفسرة منه بخجل التلميذة : ((أتذكر يا أستاذ السنة التي سافرت فيها إلي السعودية أول مرة؟ تقريبا في نفس الشهر من العام التالي))

أجاب الأستاذ مطمئنا كأنه وصل إلي الإجابة: ((علي أي حال هذا أمره سهل .. يمكن الرجوع إلي جواز سفرك لتحديد تاريخ السفر بالضبط .. هل تحتفظين به؟))

أومات سعدية بالإجابة : ((هو وبطاقتي الشخصية ..))

وتدخل الدكتور أنور في النقاش دون أن يندبه أحد مقدما خدماته مؤكدا بإخلاص: ((يوم السبت سأذهب إلي الشهر العقلي .. يعمل به أحد أصدقائي .. سأفرغ لاستخراج صورة من التوكيل المطلوب .. لكن هل هذا يكفي لرفع القضية في الحال علي عمي الحاج سعد ؟!!))

أجاب الأستاذ وهو يهيئ نفسه للنهوض: ((هذا ما سنحدده بعد الحصول علي الصورة المعتمدة من التوكيل .. ولكن إلي أن يتم هذا أرجو أن يظل هذا الأمر في طي الكتمان .. لا يجب أن يتسرب إلي الحاج سعد حتى يبقى بيدنا زمام المبادرة..أرجوكم))

اتسعت ابتسامة الدكتور أنور، حتى أوشكت أسنان الفأر الحبيسة خلف شفثيه أن تثب في عيني الأستاذ مؤكدا له أنه سبقه وطلب نفس الطلب من سعدية وأمها .. حتى لا يتحرك الحاج سعد حركة عنيدة، ويكتب الأموال كلها باسم الزوجة الثانية .. ثم أضاف مؤكدا له أنه في يوم السبت سينجز المطلوب بعون الله .. فرد عليه

الأستاذ مبادلاً الابتسامة بابتسامة مثلها قائلاً وهو يخرج من حافظته
(كارتته) ويمده إلي الدكتور: ((هذا هو رقم تليفون مكنتي وببتي في
المنصورة .. في حالة الحصول علي الصورة أو ظهور أي
مستجدات أخرى اتصل بي فوراً..وفي ضوئها سيكون تصرفنا إن
شاء الله..)).

ثم استدار إلي سعدية وأمها مصافحاً لهما بابتسامته العذبة
المطمئنة قائلاً لهما معا: ((لا داعي لكل هذه الانفعالات.. ثقا في الله،
.. هو وحده سيساعدنا علي حل جميع المشاكل .. لا داعي للكلء ..
اتفقنا ؟))

خرج جمال بقامته الواثقة المستقيمة .. لكن بعد أن ترك خلفه
الكثير من الهدوء والاطمئنان في قلوب الجميع .. خاصة تلميذته
سعدية التي تتفاعل بوجوده دائماً .. فهي لم تزل تحفظ في ذاكرتها
دوره الأبوي الحاني في تربيتها وتعليمها .. وكذلك دوره في التحاقها
بمدرسة التمريض في القصر العيني بالقاهرة .. وكيف ساعدها ذلك
على حصولها على العقد للعمل في السعودية .. وكيف كان ذهابها
هو سبب نعمتهم المادية التي حولها أبوها - بزواجه من أخرى - إلي
نقمة ولعنة وشقاء .. لكن مجرد ظهور الأستاذ جمال في المشكلة
أوحى لها بانتهائها على خير لصالحها.

غير أنها صفعت نفسها في الحال بسؤال مشاكس وعنيد:
((هل يفلح جمال صفي الدين مع عناد أبي هذه المرة بالذات .. بعد
أن احتوته امرأة جميله؟)) .. طفح الشك من جديد متسرباً من ينبوع
مخاوفها على أموالها؛ فاستدارت إلي زوجها الدكتور أنور الذي رجع
لتوه بعد أن ودع الأستاذ جمال عند الباب وصرخت فيه مستغيثة :
((لا ترجع يوم السبت من فاقوس إلا ومعك صورة التوكيل .. هو
الأمل الوحيد)).

لم يجيبها زوجها .. فقط قذفها بنظرات حادة نافذة إلى أعماقها .. كانت مزيجا من السخرية والاستخفاف والغضب والضيق منها .. فهمت هي الرسالة في الحال .. إنه يتشفى فيها لأنها لم تستمع إلي نصائحه .. لكنها مع ذلك أشاحت بوجهها واقتربت من أمها تواسيها في مصيبتها الخاصة جدا .. ففراشها سيصير باردا .. ستنام فيه بمفردها بعد أن شاركها فيه أبوها على مدى سنوات طويلة.. لقد عاشت هي هذا الإحساس المر، عندما صمم أبوها على تطلقها من زوجها الأول فرج.

الفصل السادس

عندما اندفع جمال صفى الدين خارجا من بيت سعدية بنست سعد كان صدره يعتل بمشاعر الغم والأسى .. بالرغم من أنه حاول ستر هذه الأحاسيس عن عيون الموجودين؛ حتى لا يصابوا باليأس والقنوط .. فربما تسرعوا في فهم تلك المشاعر ويفسرونها طبقا لحالتهم النفسية المتدهورة على أن الأستاذ سيفشل حتما في مساعدتهم للحصول على حقهم المالي من سعد .. لكنه بمجرد خروجه من عندهم .. فتح كل حووصلات رثتيه التي تحجرت ضيقا مما حدث .. كان في حاجه شهوانية طليقة لاغتراف أكبر كمية من هواء الكفر النقي؛ حتى يرطب جفاف صدره ويلين مزاجه المعطوب .. عندما اقترب من المسجد قرر أن يدلف إليه ليؤدي صلاة المغرب الذي حان وقته منذ نصف ساعة مضت .. فهو بذلك يصطاد عصفورين بحبو واحد .. سيؤدي الفريضة في موعدها .. ومن جهة أخرى ستكون لديه إجابة صادقة عندما يسأله بعض الفضوليين الذين ينتظرونه الآن حتما في (فيلا) العمدة للكلام إليه، أو مساعدتهم في حل مشاكلهم - عن المكان الذي كان فيه .. سيجيبهم صادقا أنه كان في المسجد .. ليبقى موضوع بيت سعد أبو رزق سرا..ولا يذاع عن طريقه هو..

شعر بسكينة عظيمة وهدوء نفسي بمجرد إتمامه الصلاة .. استردت أنفاسه هدوءها وسلاستها .. صافح بود وحميمية كل من التقى بهم من أهل الكفر في المسجد بطريقتهم الخاصة معه من خلال التعانق والأحضان الدافئة المخلصة والقبلات الحارة .. ثم قصد (الفيلا) رأسا .. كان الجو يتوشح بالدفء على غير العادة في مثل هذا الوقت من العام، فالصيف لم يأت بعد .. بالكاد الدنيا في منتصف شهر أبريل .. وسكن الهواء بعض الوقت مما لفت انتباه جمال إلي هذا الاستثناء الطقسي .. لكنه في التورفع عينيه إلي السماء ليتحقق

من أن السماء تتكدس بالسحب الكثيفة كما خمن .. ابتمس لنفسه عندما تذكر ما كان يشرحه لتلاميذ الصف السادس الابتدائي عن تيارات الحمل .. وأن الليالي الغائمة تكون في العادة ليال أكثر دفء .. ويوضح لهم أن السحب الكثيفة تكون بمثابة الحاجز بين الهواء البارد أعلاها وبين الهواء الدافئ الملاصق للأرض .. لكنه تذكر ذكرى عزيزة جدا على نفسه .. مرتبطة بهذا الدفء .. تذكر أن هذا الدفء نفسه يجعل الروائح العطرة تتبخر من زهور الليمون .. كانت دائما تعبق المكان كله .. هناك حول (فيلا) العمدة .. محراب حبه، الذي ظل يتعبد فيه في صمت ووحدة لأكثر من ثمان سنوات .. حبه الصامت لنسمة .. انداح الخدر اللذيذ في مختلف أعضائه .. ارتفع نبض الذكريات الحلوة في حنايه .. أحس بعدها بنشوة هائلة وطاقة مفاجئة .. وخاصة بعد أن تلالأت في عينيه أضواء (الفيلا)، وطفقت روائح زهور الليمون الهانئة تضحك الجو من حوله .. كان يود ألا يترك هذه اللحظات تفر من بين يديه؛ لذلك قرر أن يدور حول سور (الفيلا) كما كان يفعل في الماضي .. فكر أن يبتعد عن الناس ولو لبعض الوقت حتى يسترجع كل ذكرياته الفائتة .. لكن قدميه وضميره الاجتماعي حالا دون ذلك، عندما التقطت أذنيه صخباً وضجيجاً ينطلق من خلال النوافذ المشرعة لحجرة الاستقبال (بالفيلا) .. لذا أثر على نفسه أن يؤجل استرجاعه لذكرياته الحلوة إلي وقت آخر .. حتى يتمكن من الوقوف على هذا النزاع الفائق الذي يضطرم داخل (الفيلا) .. فأسرع الخطى إليهم وكأنه يهرب لإنقاذ غريق أو إطفاء حريق.

لم تكن تلك الجلبة سوى النزاع بين المزارع جمعة العلاوي وأهل زوجته .. ووصل النزاع إلي قمته عندما صمم على طلاق زوجته وذهابها إلي بيت أبيها بأطفالها الأربعة، أو يسدد أخوها مبلغ الثلاثة آلاف جنيه التي اقترضها من أخته في غياب زوجها للعمل في إحدى دول الخليج .. كان جمعة يبكي في حضور الجميع ومنهم العمدة الحاج أيوب والأستاذ جمال موضحاً أن الثلاثة آلاف جنيه هي

شقاء عمره في نار الخليج ورطوبته التي كانت تخنق أنفاسه .. لقد أرسلهم على دفعات مع زملائه القادمين من هناك .. كان دائما لديه إحساس قوي بأنه سيموت هناك .. لذا خاف أن يضعهم في البنك باسمه هو .. وقد سمع من زملائه هناك ((ومنهم ناس متعلمين)) أن الحكومة تأخذ أموال الذي يموت، ولا تعطي لأهله وأولاده إلا مبلغا صغيرا جدا .. ((قلت أولادي أحق بمالي من الحكومة .. الحكومة عندها فلوس كثيرة .. لكن أولادي اليتامى سيحتاجون إلي كل قرش ليتربوا .. لكنني عندما حضرت لقضاء شهر الإجازة، وجدت سعيدا أخا زوجتي ألعن من الحكومة .. أخذ منها فلوسها .. دون أن تستأذن مني .. أخذها منها سلف .. ولما طلبتها منه قال لي بالفم الواسع أنا لم أخذ منك شيئا .. وما لك عندي أي شيء .. حرام يا ناس .. حرام يا حضرة العمدة يضيع تعبني وشقائي!))

شرد جمال للحظات هامسا لنفسه بدهشة: ((نفس حكاية سعد مع ابنته تتكرر بشكل جديد .. فلوس الخارج التي يطمع فيها الجميع .. المصريون المنتحرون حبا لجمع المال في الخارج .. يضحون بحياتهم وعمرهم من أجل حفنة مال؛ ليحسنوا مستواهم المعيشي .. لكن الطامعين واللصوص يتربصون لهم هنا .. إن معظم المشاكل التي تهز كيان الحياة في الكفر في هذه الأيام تنفث من صوب العمل في الخارج .. في كل يوم خميس وجمعة تتلى علي مسامعه أمثال هذه الحكايات بصورة أو بأخرى و...))

وانتزعجه من مناجاته لنفسه صوت عمه الحاج أيوب يسأله فجأة : ((ما رأيك يا أستاذ؟))

استجمع جمال انتباهه، ثم تطلع إلي الحاضرين .. وجد من بينهم سعيدا أبو خليل أخا زوج جمعه، والمتهم بأخذ الفلوس من أخته وسأله جمال بشكل مباشر دون لف أو دوران : ((هل أخذت الثلاثة آلاف جنيه يا سعيد من أختك؟))

بعد تردد كأنه يستطلع قصد جمال من السؤال: ((نعم يا أستاذ.. أنا لا أنكر أنني أخذت المبلغ من أختي على سبيل السلف.))

سأله جمال من جديد: ((هل لديك النية في السداد؟))

أجاب سعيد دون تردد : ((طبعاً يا أستاذ .. لازم أسدد كل المبلغ .. لكن ليس الآن .. لقد اشتريت به قطعة أرض مجاورة لأرضي .. وسأقوم بالسداد بعد جمع القطن هذا العام.))

استدرك جمال موضحاً: ((لكن القطن أمامه وقت طويل .. ألا يمكن السداد من المحصول الحالي.. قمح أو برسيم؟))

هز سعيد رأسه معترضاً بقوله : ((لن أستطيع .. لأن هناك مبلغاً متبقياً علي من ثمن الأرض .. وعلي شيك لصاحب الأرض لابد أن أسدده في موعده .. بعد شهر تقريباً وإلا دخلت السجن .. هل يرضيكم أن أدخل السجن .. بينما زوج أختي لا يستطيع أن يصبر علي !!!))

استدار جمال إلي جمعه أبو علاوى وسأله مستفسراً: ((هل سترجع مرة ثانية يا جمعة إلي الخليج؟))

أجاب جمعة بعد أن تفحص وجه الحضور جميعهم تقريباً ثم توقف عند الأستاذ جمال وقال: ((إن شاء الله يا أستاذ .. بعد شهر.))

سأله جمال: ((ومتى سترجع- إن شاء الله- المرة القادمة؟))

رد عليه جمعة: ((مثل هذه الأيام من العام القادم.))

وكان العمدة بذكائه قد فطن إلي ما يفكر فيه جمال من حل لهذه المشكلة فالنقط الخيط من جمال وتدخل قائلاً : ((هكذا ظهرت الرؤية يا جماعة .. ما دام سعيد معترفا بالمبلغ ولديه نية السداد .. ولكن لحين ميسرة .. وما دام جمعه مسافرا بعد شهر .. وبالطبع كل همه هو أن يحفظ حقه، لذلك أنا أرى أن أفضل حل هو أن يكتب سعيد على نفسه إيصال أمانة، وسيشهد عليه والده وأخوه .. وسيتقي إيصال الأمانة معي أو مع الأستاذ جمال .. ويسافر جمعة بالسلامة وهو مطمئن .. عند جمع القطن يقوم سعيد بتسليم المبلغ ويتسلم إيصال الأمانة .. بهذا نضمن حق جمعة .. ويعيش مع زوجته وأولاده شهر الإجازة في سلام وانبساط .. وجمعة يحدد لي لمن أعطي المبلغ حين استلامه .. ويا دار ما دخلك شر .. ما رأيكم جميعاً؟)).

بعد فترة صمت وترقب لم تطل تم تبادل النظرات الحادة المرتابة بين أطراف النزاع، بادر سعيد أبو علاوى قائلاً بإخلاص: ((أنا موافق يا حضرة العمدة .. وأنا مستعد للتوقيع على أية ورقة .. أنا نفسي أسدد .. لكن الظروف صعبة)).

وفرش السكون عيافته علي المجلس من جديد واتجهت الأنظار كلها إلي جمعة لاستطلاع رأيه .. ولما تأخر في إبداء رأيه أو تعقيبهِ علي كلام سعيد بادر العمدة سائلاً : ((ما رأيك يا جمعة؟.. بهذه الطريقة يمكنك أن تعتبر الفلوس موجودة معك .. وأنا الضامن لها .. ولا داعي للمشاكل .. أنت رجل طول السنة تناضل وتشقى .. لا تحرم نفسك من المتعة خلال إجازتك القصيرة هذه مع أولادك وزوجتك المحروم منهم طوال السنة)).

زحفت ابتسامة طمأنينة وارتياح إلي كل وجه جمعه، ورد علي كلام العمدة بسؤال -للتأكيد وزيادة الإحساس بالنقطة- : ((هل ستضمن هذا الكلام يا حضرة العمدة ومعك الأستاذ جمال؟)).

أجاب كل من العمدة وجمال بعد أن فاضت الابتسامات علي وجهيهما؛ لإحساسهما بقرب الانفراج وانتهاء المشكلة: ((بالطبع .. نضمن ذلك -إن شاء الله-)).

وفي الحال كان الأستاذ قد كتب الصيغة المناسبة التي تضمن حق جمعة عند سعيد، الذي نهض ووقعها أمام الجميع عن طيب خاطر، وضمنه أبوه وأخوه، واحتفظ بها العمدة الذي صاح فرحاً طالباً من سعيد أن ينهض لتقبيل رأس جمعه زوج أخته، لأنه ضيفنا جميعاً وواجب علينا الاحتفاء به .. ولم يتكاسل سعيد بل رحب بالفكرة ونهض من فورهِ متجهاً إلي جمعه، الذي نهض هو الآخر فرحاً فارداً ذراعيه ليحتضن سعيداً .. وتم اللقاء وسط الجمع المحتشد مما جعل السعادة تتطاير كوريقات ملونة لامعة مع هبة ريح لتستقر في الصدور.

لم يتوقف الأمر ليلتها عند أصحاب هذا النزاع .. بل كان من بين الحضور أيضاً في المجلس نفسه، الحاج محمد منصور ومعه ابنه ياسر الحاصل علي دبلوم التجارة منذ عامين .. لم يعين حتى تاريخه .. ثم إنه كل بحثاً عن عمل يشغله عن حياة الضياع التي يحياها .. لكن دون جدوى .. وأخيراً جعلوا نهاية طوافهم الحاج أيوب .. فربما حاول تعيينه بواسطة واحد من معارفه في مركز فاقوس أو بواسطة أقاربه في القاهرة..

وتطوع الأستاذ جمال بأخذ البيانات الكاملة عن ياسر، ووعدهم أنه سيبذل جهده لدى بعض أصدقائه ممن يعملون في شركات المقاولات..

لم يكن بالطبع مجيء جمال الأسبوعي إلي الكفر مدعاة إلي الراحة والاستجمام لكي يغسل بهما عناء وجهد أيام الأسبوع المنصرم

ما بين قاعات المحاكم وساحات القضاء من جهة، واستقبال العملاء في مكتبه من جهة أخرى .. ربما كان مجيئهم مصدر راحة وسعادة لنسمة التي تنفرد بأمها تبثها أسرارها الخاصة، وكذلك لعمر طفلهما الذي بدأ يخطو خطواته الأولى، ويجد في الكفر المكان المناسب للعب طفل .. السعة وخضرة الحديقة والسعي الوئيد خلف الفراشات التي تشاكسه وتتنقل طائرة مبتعدة عنه إلى زهرة أخرى ويبيكي ببراءة ماداً يده وأصابعه الصغيرة تجاهها .. كأنه يتوسل إليها أن تتوقف وتستقر في مكانها حتى يلعب معها .. هكذا كانت تتخيل نسمة وهي تتابع عمر خطوة بخطوة .. فتسبح في ضحكاتها الحلوة شاعرة بالعطف والحب لهذا المخلوق الصغير اللذيذ الذي يشبه أباه إلى حد كبير بالرغم من أنه شق من خالص لحمها .. وتفيض بها الشفقة لنبرة التوجع في بكائه .. فلا تتحملها .. تنهض إليه .. ترفعه في الهواء ثم تضمه إلى صدرها الفخيم معتصرة له، وممطرة لوجهه وكل أعضائه الطرية اللينة بالقبلاط الملتهبة تود لو تمتصه قطرة قطرة .. مما يدفع جمال لمداعبتها، وكأنه يشعر بالغيرة من طفله فيهمس في أذنها دون أن يلحظه أحد من الأسرة: ((لا تتفقي كل قبلاطك الحارة الحلوة على عمر .. لن يتبقى لي منها شيء)) .. فتتسع ابتسامتها وقد تخدرت أوصالها لما يوحى به جمال من كلمات هامسة لعوبة، فيعمها خجل أنثوي مثير مما يدفعها إلى مغافلة الحاضرين من أهلها لتهمس له في حياء يتجراً: ((كل واحد منكما له وقته وطريقته)) وينفجر الاثنان في الضحك اللطيف، مما يلفت نظر الحاج والحاجة فيشمطهما معا أحاسيس فياضة من الهناء والسعادة .. يتبادلان معا ابتسامة خاطفة مفعمة بالمعاني الكثيرة .. لذا كانت زيارة جمال ونسمة لهما مصدر سعادة وراحة يتشوقان إليها من الأسبوع إلى الأسبوع .

الفصل السابع

لم يعبا الدكتور أنور كثيرا بهذا التعب الذي يقبض ظهره بمخالبه؛ لطول انحنائه فوق السجلات العديدة في الشهر العقاري التي أحضرها صديقه، ووضعها أمامه طالبا منه البحث بنفسه .. فالعملاء اليوم عددهم يزيد عن بقية أيام الأسبوع إنه يوم السبت .. ثم إن الدكتور أنور يطلب منه شيئا صعبا إلي حد ما .. فهو لا يعرف على وجه الدقة تاريخ التوكيل المطلوب عنه الصورة .. لذا أحضر لسعدية مقعدا وجلس في أحد أركان الحجرة منزوية .. كانت خائفة مضطربة .. تدعو الله في كل لحظة أن ينتهي موضوعها على خير .. ولا يأتي أبوها بالصدفة السيئة إلي الشهر العقاري في هذا الوقت بالذات .. حتى لا يفشل كل التخطيط .. الرسم الذي تم بمعرفة جمال صفى الدين حيث أنه من المفترض أن تقوم سعدية - بمجرد العثور على تاريخ التوكيل ورقمه في السجلات بالتقدم بطلب لإلغاء التوكيل .. ثم الذهاب به في الحال إلي قلم المحضرين بالمحكمة وتكليفهم بإعلان أبيها بهذا الإلغاء بشكل رسمي وعلى يد محضر .. حتى تبطل أي تصرفات قانونية من قبل سعد بمقتضى التوكيل السابق .. وكما أوضح لهم الأستاذ جمال أن هدفه من ذلك أن يسد الطريق على سعد لو كان يفكر في نقل الملكية إلي الزوجة الجديدة أو حتى إلي أي إنسان آخر .. وكذلك يهدف إلي إيقاظ سعد من وهمه الذي يعيش فيه .. ينتبه إلي أن هذه الأموال التي بين يديه ويستثمرها هي في الحقيقة أموال ابنته سعدية، أعطتها له بمقتضى توكيل سحبته منه .. سيكون بعدها في حالة يمكن معها التفاوض معه على استرجاع معظم أموال سعدية إن لم يكن كلها .. لكن كل هذا التخطيط يمكن أن يفسد لو أنهما رأيا فجأة سعدا يقف فوق رأسهما وهما هكذا في الشهر العقاري .. فلاشك أنه - وبصوته الجهوري - سيفتعل شجارا مع زوج بنته، وقد يصل الأمر إلي ضرب ابنته أمام الجمهور .. وقد يحملها قسرا إلي بيتها، وقد يفكر في طلاقها من الدكتور أنور كما فعل مع زوجها

السابق فرج عندما قرر أن يحتفظ بأموال ابنته لنفسه .. دفع له خمسة آلاف جنيه وطلقها منه .. بعد نزاع طال في المحكمة .. كان توتر سعدية يتفاقم ويتفاقم داخل أعصابها كلما استغرقت في هذا التوجس .. حاولت أن تقرأ القرآن بينها وبين نفسها؛ حتى تبعد عنها هذه الهواجس المرعبة .. لكنها ولفرط رعبها مما قد يقع لو اقتحم عليها أبوها فجأة المكان، كانت غير قادرة على التركيز .. كانت تنسى الآيات القرآنية التي تود استحضارها .. كانت تتابع زوجها بقلق بالغ وهو يستमित في البحث بين السطور عن الاسم والتاريخ .. لسعها الذعر أكثر من مرة عندما سمعت صوتاً جهورياً أجشاً كصوت أبيها .. كانت تسرع وترفع غطاء رأسها - الطرحة السمراء - لتستر بها وجهها حتى يخفيها عن القادم بشكل تلقائي .. وتحمد ربها عندما يذوب الصوت بين الأصوات في الغرف المجاورة ويختفي .. ولا تملك - كرد فعل لكل رعبها وهواجسها - إلا أن تحث زوجها وتتجمله لإنجاز المهمة بسرعة .. ومع أنها لم تبح بمخاوفها التي تزلزلها إليه .. إلا أنه كان يستشعر الخطر أكثر منها .. فهو يعرف سعاد، ويعرف كيف يمكن أن يتصرف في مثل هذه الأحوال .. سيتهمه بالسرقة، وبتهريض ابنته عليه كأدنى اتهام ممكن أن يلصقه سعد بالدكتور أنور .. سيهلهل كرامته وشخصيه في حضور الجميع .. سيكون حديث كل مدينة فاقوس وضواحيها ((سيحكي الناس عن الدكتور أنور حسن طبيب الطب البيطري بوحدة الطب البيطري بفاقوس .. وكيف تشاجر معه صهره وسبه وضربه لأنه يريد أن يسرق زوجته الثرية .. سيقول الناس الكثير .. وتكون الفضيحة في حضور صديقي ابن الجيران محمد مسعود .. سينقل الصورة مبالغاً فيها إلي أهل قرينتي ميت العز .. سيشتت في الكثيرون منهم .. سيزيد تأنيب أمي))

لذلك كان تركيز الدكتور أنور موزعاً ومشتتاً إلي حد كبير .. فعين من خلف نظارته السمكية تتابع الأسماء في السجلات .. وعين أخرى تنب إلي أي طيف يتحرك قريباً منه .. كان يفكر في الوقت

نفسه في الكلمات الدفاعية التي يمكن أن يرد بها علي سعد في مثل هذه الأحوال .. وسأل نفسه أكثر من مرة إذا ما كان من المحتمل أن يقع تشابك بالأيدي بينهما .. وإذا ما وقع مثل هذا التشابك .. هل يصل مع سعد إلي آخر الدنيا ويضربه ويلقنه درسا لم يأخذه في حياته .. لكن المشكلة الحقيقية تكمن بالنسبة له في عدم وثوقه تمام الثقة في موقف سعدية آنذاك .. فربما فكر أبوها - كرد فعل طبيعي لو ضربه - في طلاقه منها، وعليه سيتقدم في اليوم نفسه إلي النيابة مقدما إيصال الأمانة بمبلغ الثلاثة آلاف جنية المهر الذي يحتفظ به لمثل هذا اليوم .. وبالتالي عليه أن يطلق ويدفع مؤخر الصداق .. العشرة آلاف جنية .. وفي خضم كل تلك الدوامه من التوتر والقلق والتوقعات المرعبة كان يتفجر الدكتور أنور ضيقا متوجها إلي سعدية بتأنيب كبير رادا على حثها المتواصل له لإنجاز المهمة : ((أو يوجد في هذه الدنيا امرأة بلهاء مثلك لا تعرف شيئا عن توكيل عام أعطته لآخر؟!.. أنت وأبوك هكذا.. لا يأتي من ورائكما غير التعب!!))

وتفكر سعدية في الرد عليه بأن هذا الآخر الذي يتكلم عنه ليس سوى أبيها الذي توصل إليه ذات يوم ليتزوجها .. لكنها تدرك في اللحظة الأخيرة أنها تجلس في مكان عام .. ولا مجال للنقاش أو العتاب هنا .. ثم إن الأهم من ذلك كله أن يتم الأمر كله بسرعة ودون ما تأخير أو مشاكل .. وقبل أن يثب سعد مثل العفريت بينهما .. ثم أنها بدأت تشعر بالعطف تجاه زوجها الذي غرق في عرقه .. فهو بين لحظة وأخرى كان يخرج منديله الأبيض الذي اتسخ ليمسح عرق وجهه وعينه .. وكانت نفخاته النارية توشك أن تحرق ورق السجلات العديدة التي أمامه..

وظل مستمرا في البحث حتى عثر عليه أخيرا .. وفي الحال ارتفع صوته مناديا على صديقه الموظف في الحجرة المواجهة له .. قدم محمد مسعود متسائلا بنفاد صبر: ((أخيرا عثرت علي الاسم يادكتور أنور؟!)).

تنفس الدكتور أنور بارتياح وهو يقدم له السجل مشيراً
بإصبعه حيث يوجد الاسم وقال له يتعجله : ((نريد على وجه السرعة
صورة منه أولاً .. ثم سنقدم الآن إلغاء للتوكيل)).

ابتسم له صديقه ابتسامة ذات معنى فهمها أنور نفسه .. ومن
ثم مال تجاهه هامساً: ((انتهاز الفرصة يا أنور كي تعمل لك توكيلاً
عاماً لكل أملاكها الآن..دق على الحديد وهو ساخن))

لكزه أنور في كتفه في الحال وهو يرمق عيني سعدية؛ مخافة
أن تكون سمعت همس صديقه .. همس إلي صديقه في أذنه كاللبرق:
((ليس الآن يا أهيل!!)).

ثم رفع صوته كأنه لم يسمع شيئاً، أو كأنه لم يقل أي شيء :
((بسرعة يا أستاذ محمد من فضلك .. أماناً بعد هذا مشوار إلي
المحكمة .. نريد أن نلحقها اليوم .. نحن في سباق مع الزمن)).

هز محمد رأسه ضاحكاً: ((تحت أمرك يا دكتور .. دع المدام
تكتب طلباً باسمها هي، وتوقع عليه بتوقيعها..هل معها البطاقة
الشخصية؟.. نريدها أيضاً.. سأفرغ أنا بنفسني لإنجاز طلباتك)).

في الحال انصرف الموظف إلي الحجرة المقابلة التي يعمل
بها مصطحباً معه السجل .. لم يتركه أنور ويجلس منتظراً له بجوار
سعدية التي كتبت الطلب المراد وقدمت لهما البطاقة الشخصية فهي
صمت كامل .. فقط كانت تسألها عن المكان المخصص لتوقيعها من
الطلب أو في السجل الذي سيتم فيه إلغاء التوكيل .. بل لحقه أنور
زيادة في تشجيعه على سرعة إنجاز المطلوب .. وبقيت سعدية فهي
مكانها المنزوي التي تتعمد أن توارى فيه نفسها بعيداً عن المارة أو
الناس الذين قد يعرفونها، فضلاً عن أبيها الذي لم يزل يشاكس خيالها
.. لكن تلك الكلمات الهامسة التي تم تبادلها بين صديق أنور وبين

أنور زوجها .. وتلك الابتسامات بمعانيها التي التقطتها وفكت شفرتها ورموزها في الحال .. وقع كل شيء أمامها بسرعة وفي لمح البصر .. لكنه استقر في كل عقلها الواعي .. أراح إلي حد كبير أحاسيس ومشاعر الخوف التي كانت تعتربها لمقدم أبيها فجأة .. تركت الملعب بكاملة للتفكير الحزين فيما وقع أمامها منذ لحظات .. همست لنفسها باكتئاب وأسى: ((زوجي هو الآخر يفكر في التهام ما قد يتبقى مني!!؟ .. يريد مالي هو الآخر!!؟ .. يبدو أن أمي كانت علي حق عندما دعت متمنية دوام الفقر .. لم أر في حياتي يوما حلوا .. حتى منذ كنت طفلة صغيرة .. كان زملائي ينفرون مني .. كانوا يضربونني إذا اقتربت منهم .. وعندما ابتعدت عنهم لم يتركوني أيضا .. كانوا يلقون علي الحجارة والسباب .. لم يكن لهم نداء علي غير بنت سعد الأقرع .. كنت ذليلة بينهم .. كنت أكره أبي لأنه لم يحميني منهم!!.. بل كان يضربني أنا عندما كنت أذهب إليه شاكية!!.. إلي أن وصل الأستاذ جمال وبدأ يحنو علي ويشعري بقيمتي .. منذ ذلك اليوم بدأت أحلم بأشياء كثيرة .. لكن في مواجهة صوت أبي المرعب كانت تتبخر كل أحلامي .. فقد كنت أحلم بأن أحصل علي شهادة الإعدادية .. وأبدت لأبي رغبتني في الالتحاق بمعهد المعلمات .. ثار في وجهي ثورة لم أشهدها من قبل .. كان كالعاصفة الهوجاء التي تقتلع من أمامها كل شيء دون تمييز .. سخر مني ومن أحلامي البسيطة .. ضخم في حجم أحلامي، صورها لي مثل جبال شاهقة .. من المستحيل عليه هو بفقره أن يصل إليها، نهزني مسفها ((يجب أن تحلمي علي قدك وقد أبيك .. أنت لست بنت العمدة .. أنا لا أملك أموالا مثل الآخرين كي أنفقها علي تعليمك في مدينة فاقوس .. لقد صبرت عليك حتى حصلت علي الشهادة الإعدادية .. خضوعا لرغبة الأستاذ جمال .. وكذلك لأن المدرسة الإعدادية لا تكلفني شيئا .. أنت تذهبين إليها علي قدميك وأنت وحدك تتحملين المشاق .. الأستاذ جمال كان يتطوع من نفسه لمساعدتي في بعض الدروس بدون أجر .. لكن المعلمين مرحلة طويلة ومكلفة خمس سنوات من المصاريف الحارقة .. وبعد كل ذلك تعملين معلمة .. وقبل أن أسترده منك مليما واحدا من القلوس التي حرمت منها نفسي وأخواتك وأمك يأتي واحد ابن كلب لكي يتزوجك ويأخذ مرتبك!! .. لا.. أنا لست مغفلا)) وضاع حلمي الكبير في المعلمات وفي الزواج من الأستاذ جمال .. وخاصة

عندما رأيت الأستاذ يشجع أبي علي إلحاقني بمدرسة التمريض .. ومعناها أن أبي لن ينفق علي مليما واحدا منذ أن تقبل أوراقي فسي مدرسة التمريض .. حتي عندما حصلت علي عقد عمل في السعودية لم يهنأ بالي .. بل في الحال راح يشككني في زوجي الذي تزوجني خصيصا من أجل أن يكون محرما .. حتي تستوفي الشروط لدخول السعودية .. ظل أبي يخيفني منه .. ((إنه بطمع في مالك .. قد يلخذ أموالك ثم يطلقك)) لذا لم أر أي غضاضة فسي أن أستجيب إلي نصيحة أبي، وأبعث إليه برائتي كل شهر تقريبا .. أو علي الأقل ما كان يتقي من رائتي وبسبب ذلك .. شعر زوجي السابق فرج بعدم تقتي فيه .. وكان ذلك أول طريق المشاكل التي ثارت بيني وبينه .. ولم نتفق في يوم من الأيام .. منذ أن دس أبي في أعماقي السحيقة أنه لا يحبني وإنما بطمع فقط في مالي وفلوس السعودية .. وبالرغم من أنني أنجبت منه طفلي الأولى عزة .. إلا أن أبي لم يرتح إليه أبدا .. وأخذ مني هذا التوكيل العام؛ كي يستثمر أموالني .. لم أكن أستطيع أن أحاسبه .. كنت أخاف لو سألته عن المال وتطوره وحجمه الآن .. كان حتما سينطلق في وجهي كمدفع مقللا من قيمتي .. وموضعا أنني أشك فيه .. وأنتي في نهاية الأمر ابنة غير بارة .. كان دائما يتهمني بكل العيوب التي فيه هو .. كنت أخجل جدا من أن أرد عليه وأقول له بأن الفلوس لم تفسدني أنا .. لكنها أفسدتك أنت .. كنت أتمني ببني وبين نفسي أن أقول له الكثير عندما كان يرفض كل الرجال الذين تقدموا لي رغبة في الزواج مني بعد طلاقي من فرج، وجلست في بيته بعد أن انتهت عقد عملي من السعودية .. كان يرفضهم بحجة أنهم طامعون في مالي .. لذا لم يفكر في زواجي أبدا إلا بعد أن تقدم الدكتور أنور إليه .. تعجبت ودهشت لأن أبي وافق عليه وجاء ليسألني الموافقة .. لم أرفض بالطبع .. فمن أنا حتي أرفض دكتورا .. أنا لست مغرورة بمالي .. وفي الوقت نفسه لم ينسني المال -الذي يسيطر عليه أبي- بأن الله لم يعطيني القدر الكافي من الجمال الذي يغري الرجال بالحب والزواج وخاصة عند غياب المال .. وكنت أعلم جيدا كما قال لي أبي أن الدكتور لم يتقدم راغبا في الزواج إلا طمعا في المال .. لكن أبي وعدني بأنه سيكون متيقظا له .. لن يسمح له بأن يستغلني أو يخدعني أو يظلمني في يوم من الأيام .. لذا كتب البيت الذي بناه لي بجوارهم في الكفر بالطوب

الأحمر لكي أتزوج فيه الدكتور أنور كتبه باسمي أنا .. شدد علي أكثر من مرة بالحذر منه .. لا بيع ولا تنازل عن البيت إلي زوجي .. وبقيت مطمئنة في كنف أنور الذي أحذر منه في حماية أبي الذي يستثمر أمواله لي .. كنت أصد زوجي دائما عندما بدأ يلح لي بضرورة استرجاع أمواله من أبي .. كنت أتذكر لحظتها تحذيرات أبي لي منه .. لم أنس للحظة أنه لم يتزوجني إلا طمعا في المال .. فإذا ما حصل عليه قد يتركني .. يطلقني ويهرب حتى ولو كنت أنجبت منه ستة أولاد .. فما دام حصل علي المال هدفه الأساسي فلا يهمه بعد ذلك .. فزواجه مجرد صفقة .. صفقة لا أكثر .. سيهرب إلي امرأة أخرى إذا حصل عليها .. لكن المصيبة كانت أكبر مما كنت أتوقعه .. لم يهرب زوجي بأموالي إلي امرأة ثانية .. بل أبي - الذي كان يحذرنى من زوجي - هو الذي فعلها!! .. فعلها باقتدار مستغلا ثقتي المطلقة فيه .. غير خائف مني ولا من أمي .. فهو حر طليق من أية أوراق أو عقود تكبل تصرفاته غير المسئولة .. استغل التوكيل العام استغلالا سيئا .. ثم يتهمس الآن أنور وصديقه حول عمل توكيل له!!.. هل جننت أنا؟! .. ربما يتصوران أنني بلهاء .. هل يمكن أن ألدغ من الجحر مرتين .. لن أكتب توكيلا عاما لأي مخلوق مرة أخرى .. وليحلم أنور كما يشاء .. لكن فقط لانتظر حتى ينتهي هذا الأمر على خير .. أتخلص من أبي أولا .. وبعدها سأتولى أمري أنا بنفسى .. سأستثمرها بنفسى .. حتى ولو رفض الدكتور زوجي .. ولو أراد أن يطلقني فليفعل غير أسفة عليه .. لقد أن الأوان لكي أتخلص من خوفي وسلبيتي .. لن أواجه حياتي من خلف رجل مرة أخرى و.....))

لم يمهلهما زوجها الدكتور أنور كي تكمل عزمها وتخطيطها لحياتها القادمة .. بل أقترح عليها أفكارها وحجرتها حائلا لها علي النهوض حتى يتوجه معا إلي قلم المحضرين في المحكمة لإعلان أبيها بإلغاء التوكيل العام .. وبعدها يمكن الاتصال تليفونيا بالأستاذ جمال ليخبرهما ماذا يفعلان بعد ذلك.

نهضت في الحال غير مصدقة أنها أنهت كل المطلوب في
الشهر العقاري بخير دون أن يوقفها مجيء أبيها..

لملمت طرحتها، ونفضت ثوبها الأسود الفضفاض ووثبت
أمام زوجها خارجة مجتازة لزحام يوم السبت في الشهر العقاري..
بمكاتبة الكثيرة المحشورة في شقة أضيق من رثتي المصاب بالربو.

الفصل الثامن

عندما أنهى الدكتور أنور وزوجه كل المطلوب منهما .. وقاما بتسليم قلم المحضرين الإعلان الرسمي بالغاء الوكالة لم يكن أمامهما إلا الاتصال بالأستاذ جمال في المنصورة .. وبالفعل اصطحبها إلي سنترال فاقوس، ومن هناك قام بالاتصال من داخل كابينة خشبية أغلق بابها جيدا وبإحكام تام عليه هو وزوجته .. تحسبا من أن يسمع أحد من المنتظرين لدورهم في الاتصال ما قد يصدر عنهم من آراء أو خطط بينهم وبين الأستاذ، وينقله الهواء إلي أذني الحاج سعد .. لكن المكالمة لم تطل .. لأن الأستاذ طلب منهما مشددا أن يتوجها إليه فورا إلي مسكنه في المنصورة .. وأقسم أنه لن يتناول هو وأسرته الغداء إلا معهما .. ومهما حاولا الاعتذار عن ذلك فلن يقبل منهما أبدا .. وبالرغم من الرفض من جانب أنور وسعدية إلا أن كليهما كانت لديه رغبة غامضة وخفية في الذهاب إلي بيت الأستاذ في المنصورة .. ربما من قبيل حب الاستطلاع والمعرفة .. فكيف يكون بيت الأستاذ المتزوج ابنة العمدة .. وكيف يؤثث بيته .. وذوق نسمة في ديكورات بيتها .. لكن الذي أبهج الدكتور أنور حقا هو أنه بطريقة ما سيكون قريبا من زوجة الأستاذ .. من نسمة .. سيكون قريبا منها وقد يسلم عليها بيده لو هي مدت له يدها .. كان في كل مرة يراها من مسافة بعيدة فيرتعش قلبه، وتستولي علي كل كيانه قشعريرة إعجاب لهذا الجمال المتألق .. كان يحسد جمالا على أشياء كثيرة لا يملكها هو، لكن أهمها هو زواجه .. أو تصميمه على زواجه من امرأة على هذا القدر الخرافي من الجمال .. لقد ازدادت جمالا فوق جمالها بعد الزواج .. شعرها الأسود .. عيناها السوداوان الواسعتان بشرتها اللامعة (كالبلاستيك) ملامحها الرقيقة .. طولها المناسب وجسدها الممتلئ بالأنوثة .. أشياء كثيرة أسترجعتها في مخيلته عندما قبلا دعوة جمال لهما علي الغداء .. تمنى لحظتها لو ذهب إليه مفردة .. فهو يحب أن يختلس النظرات إلي الجميلات في

أثناء سفره .. وخاصة أنه سيسافر إلى أكثر المدن المشهور بجمال نسائها .. كان يود ألا تكون معه سعيدة .. إنها من هذا الصنف من النساء اللواتي لا ترحمن ولا تتركن رحمة ربنا تنزل على أزواجهن!! .. فلا هي جميلة .. ولا تترك زوجها يتمتع بعينه بجمال الأخريات .. هو لن يسلك سلوكا مشينا معهن .. لكنه فقط يحب أن يملأ عينيه الفارغتين من جمال بنات حواء الحقيقيات .. لكنها .. وكأنها تغار عليه تنبئه بالهمس مرة أو بالكز في فخذه مرة ، بأنه من العار عليه أن يحملق في النساء هكذا مثل المراهقين .. وتعقب التنبيه بتذكيره بأنه متزوج وأن زوجه تجلس بجواره .. فيضطر للكذب والنفي وبأنها تتوهم أشياء لا تقع .. وأنها تفعل ذلك بدافع الغيرة لأنها تحبه .. ثم يطم شفتيه بعيدا عن عينها ساخرا..

بينما كانت سعيدة تتمنى أن تري الأستاذ في بيته .. كيف يكون .. كانت تود أن تراه علي طبيعته مع زوجه وطفله الصغير عمر .. كيف يتعامل معهما .. كيف يأكل .. حتما ستختلس نظرات سريعة إلى عينيه الخضراوين المتألفتين .. أحبته وهي تلميذة صغيرة ليس لحنانه وعطفه الزائد عليها فقط .. لكن أيضا لعينه الجميلتين .. أحست بالسخرية من نفسها؛ لأن أحلام طفولتها كانت أطول من قامتها وقامة أبيها .. سألت نفسها بتمني لو كان الجميع يتجمعون علي مائدة واحدة .. ستختلس النظرات حتما إلى الأستاذ وهو يتناول طعامه .. لابد أنه رقيق حتى في طريقة تناوله الطعام .. وتريد أن تتعرف على نفس نسمة في طهي الطعام هل لها نفس أم لا .. وانتفضت فجأة عندما تذكرت الطريقة البشعة التي يتناول بها زوجها أنور الطعام .. وكيف أنه يأكل طعامه - حينما يندمج اندماجا تاما - بيديه الاثنتين وبوحشية وبملء شذقيه الاثنتين .. لا يتوقف للحظة كي يأخذ نفسه، أو يستريح للمضغ .. كأنه في سباق ويصر علي الفوز .. كانت تشعر بالاشمئزاز منه في أول زواجها منه .. لفتت نظره أكثر من مرة .. لكنه لم يقلع عن أسلوبه الذي يبدو أنه شب عليه وسيشيب عليه .. لذا لم تجد غير التسليم بواقعه كحالة مستعصية .. لكنها الآن

تشعر بنذير فضيحة في الأفق .. فحتماً سيغيره طعام نسمة ..
وبالتأكيد سينسى نفسه ومن حوله .. سيأكل بيديه وقدميه .. سيثير
قرف كل الموجودين .. لذا وجدت نفسها مضطرة لأن تقول له:
((يجب أن تشتري سندوتشات لتأكلها قبل الذهاب إلي شقة الأستاذ)).

وما أن سمع ذلك حتى نظر إليها مستغرباً دهشاً .. وخمن
بينه وبين نفسه أن سعادته قد فقت عقلها حتماً .. وذكرها أن الأستاذ
ينتظرهما على الغداء .. ومعني هذا أنه قد أعد لهما ما لذ وطاب من
صنوف الطعام والحلوى .. وقال لها ساخراً: ((بالعكس .. يجب أن
نمشي مسافة طويلة قبل أن نصل إليه .. رجل جهاز نفسه .. ولا يجب أن
نخسره .. يجب أن نجوع تماماً؛ حتى يكون إقبالنا على الطعام بشهية
جيدة!!)).

أوشكت أن تصرخ في وجهه، وهي تركب بجواره في الحافلة
التي تقلهم من فاقوس إلي المنصورة .. لقد رأت الفضيحة ماثلة أملم
عينها .. فضيحتها هي في زوجها الذي لا يشرفها ولا يرفع رأسها
أمام الآخرين .. حتماً يريد أن يتحول إلي وحش!! .. فقالت بغضب:
((أولاً لا داعي لكي أذكرك بطريقتك في تناول الطعام .. لكن الأهم
من ذلك هو أن هؤلاء الناس وإن كانوا متواضعين وبرحوبين بنا في
بيتهم فيجب من ناحية أخرى أن نشعرهم بترفعنا .. وبأننا لسنا من
ربائب الموائد .. وأن همنا الأول هو حل مشكلتنا وإرجاع أموالنا
التي استولى عليها أبي)).

لم يغضب ولم يعقب بكلمات كثيرة .. بالرغم أنه كان على
وشك الانفجار منها، وسبها عندما ذكرته بطريقته في تناول الطعام ..
لكنها في الوقت نفسه ذكرته أنها علي وشك أن تسترد كل أموالها من
أبيها .. لم يبق إلا خطوات قصيرة ويكسب الصفقة كلها من سعد
الأقرع .. لذلك كظم غيظه، ولم يعلق إلا بكلمتي ((معك حق)) .. ثم
أردف موضحاً هذا الحق الذي يقصده فقال: ((يجب أن نترفع عنهم

وعن طعامهم .. بمجرد أن نصل إلي المنصورة .. سندخل مطعماً ..
نتناول فيه الغداء)).

يبدو أن توقعات الدكتور قد خابت تماماً .. فلم يكن من علة جمال أن تستقبل زوجته رجلاً أو تسلم علي أحد إلا من أقاربها .. وما دام الدكتور وزوجته مجرد زبائن عمل - حتى ولو كان لهم علاقة تاريخية به .. فلم يكن من جمال إلا أن استقبليهما في حجرة الاستقبال .. جلس معهما بعد أن تناول غداءه بدونهما بعد أن أقسما أنهما لا يستطيعان ابتلاع لقمة واحدة .. وأنهما قد سبقاه وتناولوا الطعام .. فغضب وعاتبهما لهذا التصرف .. لكنه بسلوكة العملي والواقعي الذي اكتسبه منذ أن امتنن الحمامة، أهمل كل هذا وطلب من سعية الدخول عند الحاجة وأم عمر لأنهما في شوق إلي السلام عليها والترحيب بها .. وبقي هو في غرفة استقبال الضيوف مرحباً بالدكتور أنور الذي يوشك أن يفتق صدره غيظاً .. اعتبر هذه الرحلة بلا فائدة وثقيلة الظل .. وتنبأ بينه وبين نفسه بأنه سيعود منها مغموماً .. فلا طعام .. ولا نساء .. لكن سعية ومشكلة سعية .. وربنا يستر في الآتي..

يبدو أن توقع الدكتور أنور لم يكن مبنياً علي محض الخيال والوهم .. لأنه تساعل بينه وبين نفسه .. كما أنه سأل سعية السؤال نفسه الذي حيره: ((لماذا لم يطلب منك الأستاذ عمل توكيل له في الشهر العقاري ليتولى عنك رفع الدعوى علي أبيك!!!)) .. وهذا السؤال نفسه هو الذي بدأ جمال صفى الدين حديثه الهام والذي شدد علي ضرورة حضورهما معاً إلي بيته في المنصورة من أجله .. قال لهما : ((وإن كنت لا أنسى أبداً أني محام .. إلا أنني لا يمكن أن أنسى العلاقة القوية والطيبة التي تربطني بكم .. فأنت يا سعية في منزلة ابنتي .. كما أن أباك في مكانة أخي .. وهو لم يزل وسيظل أباك .. لكن مع ذلك كله أنا مصمم علي أن يعود إليك حقك منه .. وهذا أمر لا نقاش ولا تهاون فيه .. لكن ما أحببت أن أوضحه لك

هنا وبعيدا عن أهل الكفر .. وقبل أن اتخذ أية خطوة هي الطريقة ..
الطريقة التي يمكننا أن نحصل بها علي هذا الحق .. هل نصل معه
إلي القضاء ونقفين أنت وأبوك علي طرفي خصومة !!! .. وقد يأتي
الحق أو لا يأتي .. كما أن مسائل القضاء المدني تحتاج إلي وقت
طويل إلي أن يصدر فيها الحكم .. قد تصل إلي سنوات .. لذا أنا من
رأيي - والرأي الأخير لك - أن نحاول التفاهم مع والدك بطريقة
ودية.. بعيدا عن المحاكم...))

لم يستطع الدكتور أنور كبت مشاعر الحنق والرفض التي
مارت في أعماقه لسماعه هذا الكلام من الأستاذ .. وأية طريقة سلمية
أو ودية هذه التي يهذي بها .. أحس بندم حقيقي لأنه اختار الأستاذ
محاميا في هذه القضية بالذات .. إن حصول زوجته علي مالها من
أبيها أمل كبير وخطير وهام بالنسبة له .. لكن أيضا كان يحلم بلليوم
الذي يقف فيه سعد الأقرع ذليلا أمام ابنته في المحكمة .. أمام
القاضي .. وقد يحكم عليه أيضا بالسجن لتبديد الأمانة .. لقد حلم
بذلك كثيرا، وكانت نصف سعادته عندما اكتشف أن سعد قد تزوج
من زوجة ثانية - أنه سيتشفى فيه عندما يري الشجار والمعارك بينه
وبين زوجته وبناته، وخاصة سعدية التي سرق مالها وتزوج بها ..
وبعد هذا يأتي هذا المحامي المسمي بالأستاذ جمال صفى الدين
ويتحدث عن الحل السلمي والودي !!!؟ لذا هتف مقاطعا بغضب:
((هذا الحل الودي الذي تقول به يا أستاذ قد يصلح مع بعض الناس ..
لكنه بالتأكيد لن يصلح مع عمي الحاج سعد !! .. أنت تقول أنه
صديقك .. لذلك كان يجب أن تكون أنت أعرف من غيرك بمدى
عناده وقسوته حتى على أقرب الناس إليه!!))

يبدو أن الأستاذ جمال فوجئ تماما بالتدخل الغاضب من
جانب زوج سعدية .. فكر لبعض الوقت .. فكر أن يقول له إن هذا
الأمر يهم سعدية فقط .. فكر أن يسأله عن سبب هذا التشدد الذي
يبدية تجاه الحل الودي .. لكنه أدرك أن سعدا بأسلوبه القاسي في

التعامل مع الآخرين منذ أن تحكم في أموال ابنته .. ربما طال الدكتور أنور بقسوته .. لذلك قرر جمال أن يعالج الأمر بحكمة أكثر، ويهدوء فقال موضحاً للدكتور أنور : ((يا دكتور .. هذه طريقة تتبع عادة بين أفراد الأسرة الواحدة .. وخاصة إذا كانت بين الأصول والفروع .. وعلى أي حال فإن زمام المبادرة سيظل في يدينا .. فلذا لم يستجب الحاج سعد للحل الودي وركب رأسه وعاند - كما تتوقع - فلن نخسر شيئاً .. المحكمة ستظل موجودة وفي الحال سأطلب من سعدية توكيلاً لرفع الدعوى .. لكن يجب أن نسلك النهج الودي أولاً حتى لا يلقي عليكم أحد بأية لائمة .. ما رأيك يا سعدية ؟))

يبدو أن سعدية قد ارتاحت تماماً إلي رأي الأستاذ بقدر عدم اطمئنانها إلي انفعال زوجها المغرض .. فهي تدرك أن زوجها يحب ويتمني أن يشعلها ناراً بينها وبين أبيها .. وألا يكون بينها وبين أبيها أي صفاء .. حتى يمكنه بعد ذلك أن يفرد بها هي وحدها .. بعيداً عن أهلها .. لقد سمعته وهو يفكر مع صديقه في الشهر العقاري في توكيل عام له من قبلها .. لذلك لم تتردد في تركية رأي الأستاذ بإخلاص : ((علي بركة الله يا أستاذ.. يجب أن نسلك أولاً الطريقة الودية.))

هكذا عاد الدكتور أنور كما توقع - مغتماً غير منشرح الصدر .. فلقد تطور الحديث بعد ذلك بين الأستاذ وسعدية عن بعض العقارات التي قد يتمسك بها سعد كمكافأة له علي تعبته واستثماره للمال .. وهنا تدخل الدكتور أنور للمرة الثانية بإصرار وتصميم علي عدم التنازل عن مزرعة الدواجن التي يشرف عليها هو بنفسه .. لكن لا مانع من التنازل عن المدرسة الأيلة للسقوط .. أو عن مؤسسة المقاولات ومستودع الأسمنت .. بالرغم من تدخله في أشياء لا تعنيه أصلاً .. إلا أن الأستاذ كان يستمع إليه باهتمام ويسجل لديه كل اقتراح يقترحه .. بينما كانت سعدية تراقب الحوار الدائر بين زوجها

الدكتور أنور وبين الأستاذ في صمت .. ترد فقط إذا استفسر منها
الأستاذ عن رأيها في تصرف معين..

في نهاية الجلسة ودهم جمال أنه سينتظر حتى الغد؛ حتى
يصل إعلان إلغاء الوكالة إلي سعد .. وبعدها بيوم واحد .. سيضطر
إلي النزول إلي فاقوس على غير عادته حتى يلتقي الحاج سعد في
متجره .. وتمنى أن يوفقه الله، وينجز هذا الأمر بشكل سريع
ومناسب للطرفين؛ حتى تظل العلاقات متينة بين الحاج سعد وبين
أسرته القديمة دون اللجوء إلي القضاء .. لكن هذا التصرف لم يعجب
الدكتور .. ولم يخف ضيقه من ذلك عن سعدية أثناء عودتهما في
الحافلة إلي فاقوس فهمس ساخرا: ((أعتقد في نفسه أنه مصلح
اجتماعي!!!)).

أجابت سعدية شبه غاضبة، وقد خمنت مقصد زوجها لكنها
فضلت أن تتغابي: ((من هو؟!))

فأجاب زوجها بنبرة مفعمة بالسخرية: ((الأستاذ جمال
المحامي .. بصراحة أنا غير مطمئن إليه.....))

قاطعته سعدية بحزم: ((أرجوك .. لا تتكلم بهذه الطريقة عنه
.. لا تنسى أنه أستاذي وصاحب الفضل علي قبل أن يكون محاميا ..
أنا عن نفسي أثق فيه كل الثقة))

بالرغم من هذا البركان الذي تفجر في أعماق أنور عندما
سمع زوجته تعارضه وتناقض آراءه في رجل غريب مثل جمال، إلا
أنه ابتلع كل ما فجره البركان وحفظه في مكان سحيق .. قرر أن
يحتفظ به إلي حين .. إلي اليوم الذي سنكتب له فيه توكيلا عاما بدلا
من أبيها ((في ذلك اليوم .. سنري كيف سينفعها هذا الذي تثق فيه
كل الثقة .. يومها سأنال منها.. يومها سألقنها درسا لن تنساه ..

سأنتزوج بامرأة أخرى .. ستكون جميلة .. ستكون أجمل من نسمة
زوجة جمال .. لاحظتها سأبصق في وجه جمال لو جاء لي كي يحل
الخلاف بيني وبين سعدية بشكل ودي! .. لن تنال مني مليما واحدا ..
سأخذ كل مالها لي أنا .. سيكون تعويضا عن خسارة نفسي أنا
الدكتور الذي تزوج ممرضة قبيحة المنظر ومطلقة ولها من زوجها
السابق بنت .. ويا ليت تشعر هي بمدى فداحة ذلك ومدى تضحيتي
.. لكنها وأباها يتعاملان معي كما لو كانا أفضل مني .. لكن سأنتظر
.. سأصبر .. من العقل أن أنتظر وأصبر)) .

الفصل التاسع

في هذا العام علي وجه التحديد ، تصادف أن هل علي الدنيا شهر رمضان المبارك مع بداية العطلة للسنة القضائية .. بزغت فكرة في ذهن الأستاذ جمال، ولقد باركتها علي الفور كلا من أمه الحاجة وكذلك زوجته نسمة، فلقد قرروا جميعا أن يقضوا شهر رمضان في كفر مفتاح .. وقالت أم جمال مؤيدة رأي ابنها حالما عرض الفكرة، وما زال حنينها إلي أيامها الجميلة التي قضتها في كفر مفتاح كامنا في أعماقها السحيقة: ((في الريف يكون رمضان أكثر بهجة ومتعة))

كما علقت نسمة من خلال ابتسامة حاملة ورقيقة طوقت بها عيني جمال: ((علي أن تشتري فانوس رمضان الملون لعمر .. سنجعله يشعر بأول رمضان يعيه عندما يرى أطفال الكفر بفوانيسهم وغنائهم احتفالاً بشهر رمضان))

ابتسم لها جمال وقد أوماً بالموافقة.. لكنه شرد في الحال إلي أيام طفولته في الحي الشعبي بمدينة الزقازيق .. تذكر أباه وكيف كانت سعادته تفيض علي قسماط وجهه الطيب، وكلماته الهادئة عندما يعود قبيل شهر رمضان بأيام وقد احتضن فوق صدره فانوس رمضان وأكياس اليا ميش، كان -رحمه الله- يتعمد ألا يلفه في ورقة أو يواريه في كيس، وكيف كان أباه يحس بالبهجة والسعادة عندما كان يقدمه إلي جمال، بعد أن يمطره بالقبلاط الأبوية الحانية .. كان يتمني له أن يطيل الله في عمره حتى يأتي اليوم الذي يشتري فيه الفوانيس إلي أولاده .. كان يضيف له قائلا: ((لا تكف بطفل واحد- إن شاء الله- يا جمال تتجب لي عشرة أطفال)) .. أفاق جمال من شروده متمتا بقراءة الفاتحة لروح أبيه داعيا الله له بالرحمة .

لم يشأ جمال صفي الدين أن يمر رمضان بكفر مفتاح هذا العام كأبي رمضان سابق .. فكر في أن يولم وليمة كبيرة لكل أهل الكفر .. سيكون إفطار أول يوم في رمضان عنده في دوار صهره الحاج أيوب مفتاح .. ستكون فرصة للتقارب بين الناس بعد أن شتتتهم دنيا المال والتكالب والتصارع على عرض الدنيا .. لكن الحاج أيوب فاجأ جمال بعدم حماسة للفكرة!! .. وحتى يخفف من مشاعر الإحباط التي بدت في وجه الأستاذ، أردف موضحاً الأسباب: ((إن تلك العادات الريفية الطيبة في الإفطار الجماعي في الدوار في شهر رمضان، لم يعد يهتم بها أحد من أهل الكفر، في الماضي كان أهل الكفر كبارهم وصغارهم ينتظرون شهر رمضان خصيصاً لتلك التجمعات، لعلك تتذكر يا أستاذ كيف كانت ليال حافلة، يجتمع فيها جميع أهل الكفر على الحب والخير، وكيف كنت أحضر في كل علم أحد المشايخ لإحياء ليال الشهر الفضيل .. لكن منذ سنوات .. بدأ الناس يتخلون عن هذه العادة .. حتى وصل الأمر إلي أنني ومعني بعض الأقارب -ربما لا يزيدون عن الخمسة فقط- نحافظ على أن نفتح الدوار ونتناول الإفطار فيه .. مخافة أن يمر بالكفر غريب صائم ولا يجد من يفطره .. لم يعد الحال كما كان من قبل يا أستاذ!!))

تساءل جمال دهشاً: ((لكن لماذا ياعمي الحاج!!.. لقد كانت من أجمل العادات الرمضانية كيف يتخلى عنها الناس!!))

هز العمدة رأسه عدة مرات، وراح يهدد بيده اليمنى فوق الرأس العاجية لعصاه، ثم واصل توضيحه لجمال: ((ألم تقتنع بعد يا أستاذ أن الناس قد غيرتهم الفلوس!!...!!))

وأراد أن يكمل توضيحه بعد هذا السؤال لكن جمال قاطعه
مستغرباً: ((المفروض أن يتغيروا إلي الأحسن والأفضل يا عمي
الحاج..إلي التجمع وليس إلي القطعية والعزلة!!)).

عقب العمدة بقوله: ((شتان يا أستاذ جمال يا ابني بين
المفروض والواقع..لكنني في الواقع عندما رأيت هذا التناقص في
عدد الناس -في السنوات الماضية- لم أسكت، ولم أقبل بالأمر
الواقع، بل قابلتهم وعاتبتهم علي تخلفهم عن الحضور كعادتنا في
الشهر المبارك، وكيف يكون رمضان رمضاننا دون أن نجتمع مع
بعضنا في الإفطار الجماعي .. ونواصل السهر في سماع القرآن
والتواشيح الدينية..كان ردهم غريباً..كل واحد منهم اعتذر بأن أولاده
-ومعظمهم متعلمين وسافروا إلي الخارج وعادوا بالمال- يحولون
دون مجيئه إلي الدوار .. بحجة أنها عادة قديمة وتعتبر رمزا للتخلف
والرجعية.....))

قاطعه جمال محتجاً: ((التعاون والترابط والتكافل الاجتماعي
أجمل الأخلاق الإنسانية والإسلامية أصبحت رمزا للتخلف
والرجعية!!؟ .. هؤلاء الناس بالتأكيد لا يعون ما يقولون .. فقط يردد
كل منهم شعارات لا يفهمها .. هذا أمر لا يجب السكوت عليه يا
عمي الحاج..))

تساءل الحاج في يأس: ((وماذا ستفعل يا أستاذ!!؟ .. هؤلاء
الناس في الحقيقة لا يقولون السبب أو الأسباب الحقيقية .. في
اعتقادي أن هناك أسباباً أخرى خلاف ادعائهم بما يقوله أولادهم..))

تعجله جمال في التوضيح فسأله: ((مثل ماذا يا عمي
الحاج!!؟))

رد الحاج بابتسامة هي مزيج من اليأس والسخرية: ((برامج التلفزيون مثلا..وكيف أنها مكدسة بالشقيق والمثير للصغار والكبار..كما أن ارتفاع المستوى المادي للبعض من أهل الكفر دون البعض الآخر أثار بينهم نوعا من الحساسية غير المرئية .. فالغني منهم لا يحب أن يراه أحد -وخاصة غير القادرين- عندما يتناول طعام إفطاره الفاخر الدسم في هذا الزمن الذي شوّهه الغلاء..وفي الوقت نفسه فإن الفقراء تمنعهم عزة أنفسهم عن الاجتماع مع من هم أفضل منهم..سيتعرون أمامهم عندما يري الناس أن طعام إفطارهم بسيط جدا وخالي من اللحوم...كما تري يا ابني المشكلة لا حل لها))

قبل أن يرد جمال على عمه الحاج معارضا ليقول له أن أي مشكلة لها حل..وقبل أن يقول له أن حلها في يد شباب الكفر قبل شيوخوا..وقبل أن يعرض عليه الفكرة التي لمعت في ذهنه مع نهاية حديثه، سمعا معا وهما يجلسان منفردين في حديقة (الفيلا) الخلفية - جلبة وضوضاء غير عادية..انتهيا إليها مهملين لكل ما كان يجري علي لسانيهما..وإذ بمصدر الصوت يفيد إليهما من داخل (الفيلا)..عندما استدار جمال إلي باب (الفيلا) الموصل إلي الحديقة عبر سبع درجات رأي زوجته نسمة تجذب يد امرأة تتمنع عن النزول معها إلي الحديقة، حيث يجلس جمال ووالدها العمدة.. شيئا فشيئا برزت المرأة مجتازة الباب مع نسمة هابطة الدركات .. فإذ بها سعدية بنت سعد تتقدم إليهما تتكبل بخجلها وأسفها من أن تكون قد اقتحمت عليهما خلوتهما في وقت غير مناسب .. هب جمال واقفا مرحبا ومادا يده إليهما مشجعا لها على التقدم نحوهما دون حرج..ورحب العمدة أيضا .. في الوقت نفسه الذي تبعها هي ونسمة الشغالة تحمل لهم جميعا مشروبا تحية للضيافة .. كان العمدة وجمال يجلسان فوق المصطبة الواسعة بين شجيرات الليمون الخضراء ونسمات عصرية رقيقة تمرح عبر المكان وتلامس مصادفة جلود الجالسين فتتبعش مشاعرهما وتفتح شهيتهما للحوار الناعم والهادئ المخلص بين ابن وأبيه .. فلما وصلت إليهما كلا من نسمة وسعدية

أوسعا لهما مكانا للجلوس معهما .. غير عابئين بما اعتذرت به
سعدية عن هذا المجيء المفاجئ .. لكنها الضرورة .. فليس لها أحد
في الكفر يقف معها في محنتها غير الأستاذ وعمها الحاج عمدة
الكفر .. لكن كل الذي ألقهما هي هذه الدموع المتدفقة من عينيها
المحمرتين، وهذا النشيج الذي تتحفظ عليه .. كأنه من العيب عليها
أن تصبح باكية في حضورهما .. لذا تعمدوا جميعا إلى التشديد عليها
بالجلوس والراحة أولا، ثم شرب العصير .. وبعد ذلك تحكي ما
جري .. ولم تتحفظ نسمة على مشاعر الحزن والألم التي أحست بها
عندما رأت سعدية في هذه الحالة .. وكانت هي الأخرى تواقه إلي
سماع هذه الفجيعة الجديدة .. بعد أن خلصها جمال زوجها من فجعة
زواج أبيها من قبل، وأمكنه أن يحل الموضوع بينهما بطريقة ودية ..
واستطاع برضاء الطرفين أن يرد إليها بعض العقارات مثل المزرعة
التي كان يصمم عليها زوجها الدكتور أنور .. ولم يشأ سعد أن
يتنازل عن المدرسة أو مصنع الطوب .. لكنه فقط سمح لها بأن تأخذ
منه الخمسة أفدنة التي قام بتجريف تربتها منذ سنوات فتجمعت فيهم
المياه وتحولت إلى مجرد برك تحتوي على ماء راكد آسن لا نفع من
ورائها .. وأعطاهما أيضا مبلغ عشرين ألف جنيه نقودا سائلة ..
ورضيت سعدية بذلك .. ولم تستجب إلى إلحاح زوجها عليها بفكرة
اللجوء إلى القضاء لمحاكمة أبيها؛ لذا أخذت نسمة تهدد برقة
وتعاطف على ظهر وكنف سعدية مهدئة لها وملحة عليها أن تخفف
من انفعالها؛ حتى تتمكن من أن تقص كل ما جري لها لعلها تجد
لديهم الحل لمشكلتها .. كذلك خاطبها جمال مطمئنا بأن كل مشكلة لها
حل .. عليها فقط أن تتوقف عن هذا البكاء العاصف، وتحكي
حكايتها .. لكنها لم تتمالك نفسها واستمرت في البكاء الملتاع .. لذا رأى
جمال أنه من الأفضل أن يستدرجها ببعض الأسئلة؛ لعلها تتمكن من
السيطرة على هذا النشيج الذي استولي عليها تماما، فقال مستفسرا
بإخلاص: ((هل أولادك بخير؟))

أجابت متعثرة وبصعوبة: ((نعم..بخير))

مط جمال شفتيه متعجبا، وعاد يسأل: ((الدكتور أنور صحته جيدة؟))

وكانه ضغط بعنف علي بؤرة الألم.. فصرخت في وجه الحاضرين بشكل عفوي رغما عن إرادتها لدرجة أنهم جفلوا جميعا.. وكان أكثرهم ذعرا نسمة، التي ارتجت فجأة مأخوذة، مما جعل عينيها تتبللان بالدموع هي الأخرى، ومن ثم تتحدر الدموع غزيرة من عينيها.. وواصلت الهددة علي ظهر سعدية بيد وتكفكف دمعها هي بكفها الثانية.. وأخيرا نطقت سعدية بكلام متقطع موجوع: ((منه إلى الله.. زوجي أنور.. هو السبب.. الخائن قليل الأصل...))

ولم تتوقف سعدية حتى وضحت لهم كل شئ وقع من زوجها الدكتور أنور الذي أراد أن يلعب دور أبيها من جديد.. وصمم أن تكتب له توكيلا عاما مثلما فعلت لأبيها .. مرة يغريها بأن التوكيل سيعطيه الفرصة ليتحرك في السوق أكثر، ويستثمر أموالها، وأن مال الزوجة هو مال الزوج.. لا فرق بينهما ما دام بينهما أولاد .. وعندما كانت ترفض بحجة أنها لم تعد تثق في أحد بعد ما فعله أبوها .. كان يعود إليها مهددا ومنذرا بالطلاق .. وعندما لم يفلح معها ترغيبه أو تهديده لمدة شهر مضى، ومنذ أن نقل سعد ملكية العقارات إلى ابنته ووضع في حسابها مبلغ العشرين ألف جنيه .. في أول الأمر ظل يلح عليها أن تدفع مبلغ الثلاثة آلاف جنيه لأبيها وتأخذ منه إيصال الأمانة .. فكرت بينها وبين نفسها أنها لو فعلت ذلك، وأعطته إيصال الأمانة سيحفظ تصرفها هذا جميلا، وسيتصرف معها بإخلاص الزوج.. لكنها فوجئت بتقلبه، وتغير أسلوبه معها .. صار فظا غليظا .. دائم السخرية منها ومن أبيها محدث النعمة .. ووصل به الأمر إلى السخرية الدائمة من شكلها.. بدأ ملمحا ثم مصرحا.. ومع ذلك كانت تتحمله.. من أجل الأولاد.. وحتى لا يقول الناس عنها أنها لا تفلح كزوجة، وطلقت للمرة الثانية.. كانت تتحمل منه كل هذا العذاب

دون أن تشكو لأحد .. حتى أمها نفسها لا تعلم شيئاً عما حدث بينهما..((كنت أكبت كل ذلك داخل صبري خلال الشهر الماضي كله لم أفكر أبداً في أن أبوح به لأي مخلوق .. حتى ليلة أمس، قالها صريحة إما الطلاق.. أو تنقي في وتكتبي لي توكيلاً عاماً.. وبالطبع كان ردي هو الرفض .. فهذا الرجل ما دام يصبر علي هذا فلا يمكن أن أثق فيه .. وكيف أثق في رجل آخر، بعدما وقع من أبي؟!! .. ولذلك ذهب .. جمع ملابسه ورحل عني وعن أولادي وشهر رمضان علي الأبواب.. وفي الحقيقة أنا لست حزينة علي رحيله من أجل نفسي .. ولكن من أجل ولديه .. ومع هذا كله لم أعبأ برحيله .. لكن اليوم .. في الصباح .. جاء العامل الذي يشتغل في المزرعة .. مزرعة الدواجن وأخبرني أنه لا يوجد علف للدجاج يكفيه ليومين .. وبعدها سيموت الدجاج كله إن لم نحضر العلف .. طبعاً ففهمت أن أنور -عديم الضمير- قد اختار هذا التوقيت بالذات لكي ينفذ تهديده بالرحيل.. يعلم أن الدجاج ليس لديه علف.. ويعلم أنني قليلة الحيلة في هذا المجال.. والوقت ضيق.. وما أن عرفت أن حضرتك وصلت اليوم يا أستاذ حتى أتيت إليك وإلي عمي العمدة مستغيثة بكما.. أرجوكما.. أنا لا يهمني أن يرجع أنور أو لا .. المهم الآن هو إنقاذ دجاج المزرعة.. إنقاذ روح عشرين ألف دجاجة))

توقفت عن الكلام بصعوبة بالغة وعادت مرة أخرى لـذرف الدموع.. وما زلت نسمة بجوارها تهدد علي ظهرها مشجعة لها على الجلد والصبر .. مطمئنة لها بأن المشكلة ستحل بإذن الله .. كانت تكلمها وهي تنظر إلي أبيها بعينين متوسلتين لمساعدة سعدة حتى تتوقف عن البكاء.

أما العمدة فقد قلب يديه معتذراً، لأنه ليس له أية خبرة أو علاقة بالناس المشتغلين أو المهتمين بتربية الدجاج، وعندما سألها لماذا لا تستعين بخبرة أبيها في هذا المجال.. فهو بالتأكيد يعرف الأماكن أو الشركات التي تباع العلف .. وبالتأكيد يمكنه أن يحل لها

المشكلة بسرعة .. اعتذرت قائلة بثبات وعناد: ((لو مات كل دجاج
المزرعة عشرين مرة لن الجأ إلي أبي أبداً؛ لأنني واثقة من أنه
سيشمت بي، ويذلني لأنني قمت بإلغاء التوكيل .. لا لن أذهب إلي
أبي..حتى لو مات كل الدجاج.))

في اللحظة نفسها كان جمال غارقاً بالتفكير عمن يمكنه أن
يخرج سعيدة من هذا المخرج.. طفق بسرعة يقلب في صفحات
ذاكرته عن الإنسان المهتم بموضوعات مزارع الدجاج، ويمكن أن
يمد له يد المساعدة العاجلة.. فالوقت حاسم تماماً.. وليس هناك مجال
للتعاطف مع سعيدة أو للنقمة على زوجها، لكن الموضوع بالنسبة له
كيف ينقذ روح عشرين ألف دجاجة من شبح الموت؟! .. وبطريقة
مفاجئة من زناد عقله، ومضت أمام عينيه صورة الحاج درويش
الجمال..

على الفور رفع جمال صوته منادياً الخادمة ومعها التليفون
.. خلال دقائق كان قد تكلم مع الحاج درويش الذي وعده بتحقيق كل
رغباته.. ولأن سعيدة أو جمال لا يعرف أي منهما نوع العلف
المطلوب أو الكمية اللازمة حتى نهاية دورة التربية والمدة الباقية
لذلك تطوع الرجل خيراً بأن يرسل الليلة -بعد أن أطلعه جمال على
المشكلة- الطبيب البيطري الذي يشرف علي مزارعه ليحدد نوع
العلف المطلوب والكمية المطلوبة.

في اللحظة نفسها التي وضع جمال سماعة التليفون منهيأ
كلامه بالشكر الجزيل للحاج درويش قائلاً له أن هذا جميل ومعروف
لن ينساه له أبداً.

وبينما بدت سعيدة كالمجنونة الحائرة بين ابتسامتها الشاكرة
لجمال، و بين دموعها وبكائها على حالتها المأساوية، داهمها الأستاذ

جمال بسؤال لم تفكر فيه من قبل: ((هل لديك من يعتني بمزرعة الدواجن في حال إحجام الدكتور أنور عن مساعدتك؟))

حملت سعدية في وجه الأستاذ طويلاً، لم تجبه بحرف واحد، وفتحت فمها بعد لحظات في محاولة منها للإجابة بشيء، لكن تضاريس وجهها استحالت جميعها فجأة إلى سؤال من صخر ((كيف بي لم أفكر في هذا الاحتمال من قبل!!؟ إن أنور قرر أن ينتقم مني، وبالتالي فكل احتمالات الانتقام واردة، لقد قرر أن يؤكد لي أنني بدونه لا أساوي شيئاً، بدونه سأضيع ويضيع مالي و...))

لم يشأ جمال أن يترك سعدية في أحضان شرورها أطول من هذا، فافتحم صمتها بسؤال آخر: ((سعدية..هل لديك خبرة بإدارة مزرعة الدواجن؟))

أومأت سعدية بالنفي، ثم أجابت من بين دموعها التي استأنفت تدفقها من جديد: ((ليس لدي أدنى فكرة عن ذلك؛ فلقد كان كل اعتمادي على والدي ثم على أنور، لم أفكر أبداً في أن يحصل من كل منهما كل هذا الذي حصل!!))

هون جمال الأمر عليها، ووعداً أن يذهب أولاً لمقابلة الدكتور أنور لحل المشكلة بينه وبين زوجته، وفي حالة رفضه وتعبته سيتق لها مع طبيب بيطري آخر، يدير لها المزرعة، ولكن بشرط أن تبدأ هي في الاهتمام بتعلم إدارة المزرعة، وكل أموالها بنفسها مشدداً على هذا بكلام حاسم من أستاذ إلى تلميذته: ((إن كل أسباب هذه المشاكل التي تحاصرك، هي سلبيتك واعتمادك على الآخرين في إدارة أموالك، لكن من الآن فصاعداً لابد من الاعتماد على نفسك واكتساب الخبرة في هذا المجال، مفهوم ياسعدية))

هذت رأسها بأسف، معترفة بخطئها: ((معك كل الحق
ياأستاذي في كل ما تقول ، وأعد حضرتك أن أكون مثلمأ أردت مني
أن أكون...))

قأطعها جمال ضأحكأ: ((لا.. بل مثلمأ تريدن أننت أن
تكوني، يجب أن تكون شخصيتك مستقلة عن الآخرين، وحتي عنني
أنا، وأن تتحمل كل مسئولياتك بنفسك مفهوم يا سعيدة))

وأخيراً رف طيف ابتسامة فوق شفتي سعيدة، بعد أن أعادهل
الأستاذ بطريقته في الكلام إلى أيام الدراسة، وكيف كان يجهد نفسه
في محاولة إفهامها الدروس المقررة، بالرغم من تبأطنها في الفهم،
فهتفت بعزم حقيقي: ((أعدك يا أستاذي بألأ أكرر هذا الخطأ مرة
أخرى، وسأتحمل كل مسئولياتي بنفسي)).

الفصل العاشر

لم تكن مشكلة سعدية فقط هي التي شغلت جمال صفى الدين قبل أن يطرق شهر رمضان أبواب كفر مفتاح، بل ما قاله عمه العمدة بخصوص تفوق الناس في الكفر حول أنفسهم، وعدم تواصلهم مع بعضهم كما كانوا من قبل، سأل نفسه متحسراً: ((لماذا؟؟!!)). قد يكون هذا الانغلاق على الذات جائزاً في المدن الكبيرة.. حيث لا أحد يعرف أحداً.. الكل يتوجس خيفة من الكل.. حيث أولاد الحرام لم يتركوا لأولاد الحلال فرصة للثقة بهم.. لكن هنا؟؟!!.. في الكفر؟؟!!.. حيث يعرف كل إنسان منهم الآخر تمام المعرفة.. تربطهم ببعضهم علاقات قرابة أو نسب ومصاهرة.. هل يمكن أن يكون التليفزيون وبرامجه المثيرة الشيقة هي السبب كما يقول عمي الحاج.. أو تكون الفوارق الطبقيّة المستحدثة بفعل السفر إلي الخارج هو السبب؟؟!!))

وكما أن جمالاً لم يهدأ ولم يرتح إلا بعد أن عالج مشكلة سعدية، وأوفي الحاج درويش بوعده للأستاذ، وأرسل الطبيب البيطري، الذي حدد نوع العلف، وأحضره في اليوم التالي مباشرة.. وتم تقريباً إنقاذ روح دجاج سعدية، فهو كذلك لن يشعر بالراحة أو الاستقرار النفسي إلا بعد أن يقف على السبب الحقيقي وراء انعزالية الناس في الكفر، ولماذا لم تعد تجمعهم مائدة شهر رمضان كما كانوا من قبل!!

وعليه فقد وقف جمال صفى الدين عقب التسليم وإنهاء صلاة الجمعة في مسجد الكفر .. وبعد أن سمع المصلون خطبة طويلة وعظيمة عن فضل شهر رمضان - الذي سيبدأ من الغد - على سائر الشهور .. وكيف أن أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من

النار .. وأوضح لهم الشيخ أحمد خطيب المسجد أن الشياطين تقيد وتسجن في شهر رمضان .. وقف جمال صفى الدين وقبل أن يختم الناس الصلاة وقبل أداء ركعتي السنة البعدية لصلاة الجمعة .. أمسك الجميع عن الكلام أو الحركة .. تحولت كل العيون إلي الأستاذ .. لقد اعتادوا منه التحدث إليهم في الوقائع الهامة والخطيرة .. حبس الجميع أنفاسهم تقريباً حتى تحدث جمال مبتسماً .. وبعد أن هنأهم جميعاً بمقدم شهر رمضان المبارك ((بخصوص هذا أرجو أن تنتظرو جميعاً بعد صلاة السنة، أود أن أتحدث معكم، وخاصة الشباب)).

شعر جمال بسعادة فاقت أية سعادة عاشها من قبل؛ وذلك عندما - وبعد أن سلم منتهياً من ركعتي السنة البعدية - رأي جميع المصلين في أماكنهم .. لم يتسرب منهم أحد .. تفاعل خيراً .. ازداد ثقة في نجاح فكرته في جمع شمل أهل الكفر .. أدرك أن الدنيا لم تزل بخير وأن الله لم يزل معه .. ولهذا أشرقت أجمل ابتسامة على وجوه المصلين من بين شفتي الأستاذ الذي وقف في مواجهتهم شامخاً مهاباً مثاقفاً يشع بحب وإخلاص وتواضع للجميع مما جعل كل قلوبهم تهفو لسماعه قبل آذانهم ثم قال بصوته العذب الهادئ وبعد أن بدأ باسم الله الرحمن الرحيم: ((لا شك أننا جميعاً لنا ذكريات حلوة وجميلة مع شهر رمضان المبارك .. كلنا نتذكر ليالي رمضان الرائعة التي كنت استمتع بمشاركتي لكم فيها منذ سنوات .. نتذكر كيف كنا نجتمع حول طعام إفطار جماعي في الدوار .. وكيف كنا نجتمع لصلاة المغرب والعشاء وصلاة التراويح في المسجد، ثم بعد ذلك نواصل السهر الجميل ما بين سماع القرآن الكريم والتواشيح الدينية من الشيخ عبده العباسي .. وكيف كان السهر يمتد بنا أحياناً إلي وقت السحور .. بين حكاية وحكمة وعبرة وقصة من إخواننا الكبار وآبائنا الذين يفيضون بالخبرة والموعظة الحسنة .. في هذا العام .. وعندما توافق حلول شهر رمضان مع عطلتي، شعرت بحنين عظيم إلي رمضان الكفر الجميل .. حيث الناس واجتماع الأهل والأحباء .. لكن للأسف سمعت أن الناس الآن يفضلون العزلة

.. يغلقون أبوابهم على أنفسهم .. الأبواب .. أبواب الكرم والتي كانت أكثر انفتاحاً في شهر رمضان .. دوار الكفر المفتوح على مصراعيه المتلهف لاستضافة أي قادم أو غريب على مائدة إفطاره .. لم يعد يعمره أهل الكفر؟؟!! .. أقول الحق .. لقد صعبت .. وتسبعت لماذا؟ .. في الحقيقة لم أجد إجابة شافية عندي؛ لذلك قررت أن أجا إليكم أنتم لكي نعرف الإجابة .. لكي نضع جميعاً أصابعنا على موضع الخطأ فينا كي نصلحه .. فديننا الإسلامي يدعونا إلي التراحم والتعاون على البر والتقوى .. بحثنا دائماً على التعاطف والتجمع والتزاور .. إذن لماذا ابتعدنا عن بعضنا؟؟!! .. لماذا فقدنا وفرطنا في هذه العادات الجميلة؟؟!!))

توقف يلتقط أنفاسه المنفعلة .. طال التوقف .. أدرك الناس أن الأستاذ قد طرح سؤالاً وينتظر رداً؛ فتملل الأستاذ مأمون عبدالباسط معلم اللغة العربية والتربية الإسلامية بمدرسة سعد رزق الإعدادية بالكفر، ثم رفع يده طالباً من الأستاذ الكلمة، أشار له جمال ليتفضل بالكلام – وكان هو واحداً من تلاميذ الأستاذ جمال في الابتدائي، فقال بانفعال وصراحة: ((الحق يا أستاذ أنك بهذه اللفظة قد ضغطت فينا علي جرح غائر، بالفعل لقد دست بقوة على منبع الداء الذي أحال حياة الناس هنا إلي شقاء بدلاً من السعادة .. هذا الداء هو هذا الجهاز الخطير المسمى المفسديون، وليس (التلفزيون) .. هذا الجهاز يا أستاذي، منذ أن اقتحم علينا بيوتنا جعل كل أسرته تفتش شاشته وتلتحف بتمثيلياته وبرامجه .. تفوق الناس حول شاشته ليل نهار .. ترك الفلاح زرعه والتلميذ استذكاره .. أهملت الفلاحة حلب الجاموسة والبقرة .. وخاصة في شهر رمضان المبارك .. المفترض فيه أنه شهر العبادات .. يحوله المفسديون بقدرته إلي شهر التسلية والفوازير والمسلسلات .. ولأن اللصوص اكتشفوا أن ساعة عرض المسلسل هو أفضل الأوقات للسرقة؛ لاندماج الناس في متابعة أحداث المسلسل .. لذا كثرت السرقة .. وبالتالي اضطر الناس إلي غلق

الأبواب .. خلافا للسابق .. وحتى في شهر رمضان المبارك شهر
الكرم والجود!!!))

ما أن توقف الشيخ مأمون عن الكلام حتى ماح المكان
بالضحك، وخاصة من قبل فلاح الكفر؛ فهم يعرفون مدى تعصب
الشيخ مأمون، وخاصة بعد أن أطلق لحيته وارتي الجلباب القصير
.. ويقولون عنه أنه يحبها دائما ويشدد الأمور على من حوله، ولا
يعجبه العجب. لذا كان كلامه بالنسبة لهم مسليا .. لأنه لا يعجبه
التليفزيون الذي يعجب الجميع، وفي الحال رشقهم الشيخ مأمون
بنظرات قاسية ساخرة؛ لهذا الجهل الذي يرتعون فيه كما ترتع الأنعام
.. وكثيرا ما كان يقول لهم ذلك فيقولون له وهم يغربون في الضحك
على ((الفتي المتشدد)) نحن بهائم يا شيخ مأمون؟ وأنت وحدك
الإنسان!!!..

ومال أحد الفلاحين الشباب إلى جاره، وهمس ساخرا في
أذنه، في محاولة لتذكيره بما كان عليه الشيخ مأمون من قبل سبع
سنوات فقط .. عندما كان طالبا في الثانوي وكان يخرج للعمل في
العطلات الدراسية كخولي ومراقب على الأولاد والبنات عند جمع
لطح دودة القطن وعند جمع القطن: ((أليس هذا الشيخ مأمون الذي
بكي متوسلا إلينا كي لا نفضحه عندما قفشناه من حضن حميدة أم
مبروك ساعة أذان المغرب..كان يقبلها كالجوعان)) .. ورد عليه
جاره هامسا وهو يلكره في ركبته الملاصقة له: ((اسكت يا أخي ربك
أمر بالستر))..

وقطع عليهما همسهما (الباشمهندس) منصور السيد ابن الكفر
الذي حصل على بكالوريوس الهندسة المدنية، ولم يعثر على عمل
منذ عامين وحتى الآن .. كان يرد على الشيخ مأمون بنبرات متحدية
رافضة: (أنت يا مأمون دائما يخرج تفكيرك من ثقب إبرة .. دائما
تضيق على نفسك وعلى الناس .. جعلت من (التليفزيون) وحده

السبب الوحيد والرئيسي لتباعد الناس في قريتنا .. بالرغم من أنك كنت أكثر شباب فينا يشاهد التلفزيون .. ثم إنك أهملت تماما الآية الكريمة ((إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)) .. المشكلة يا أستاذ جمال هي أن الناس في الكفر قد تغيرت نفوسهم .. الناس لم يعودوا كما كانوا هم الناس .. الناس غيرتهم القلوب .. من حصل عليها تتضخم روحه بالكبر والعنجهية على من لم يساعده الحظ ويحصل عليها .. ومن لم يحصل عليها؛ لأنه لم يسافر إلي الخارج أو لم يعمل في المعمار أو لم يسرق .. تعف نفوسهم عن التعامل مع محدثي النعمة .. وبالتالي يضطرون إلي البعد واحترام مشاعرهم داخل بيوتهم .. سواء عندهم (تلفزيون) أم لا .. من هنا نتجت الفجوة الحقيقية يا أستاذ...

ولكان الشيخ مأمون قد وجدها الفرصة المناسبة .. فقرر أن يصطادها في مواجهة الكفر كله .. لن يجد فرصة أو مناسبة أفضل منها لكي يرد لا على منصور وحده، بل ليرد على كل الهزات واللمزات التي ترتطم بهوامش ناظرية بين وقت وآخر، وخاصة من أقرانه الذين يعرفون عنه الكثير من معاصيه السابقة .. وكيف كان يتسلق أسوار حدائق المانجو ليسرق ما يشاء من ثمرات المانجو الناضجة في موسم الصيف .. بعد أن ينجح بذكاء وألمعية- كان معروفا بها- في مخادعة الخفراء القائمين على الحراسة الخاصة لحديقة المانجو .. بالرغم من أن هؤلاء الحراس غرباء عن الكفو .. ويصر بعض تجار المانجو الذين اشتروا ثمرها على إحضار خفراء من الصعيد أو من الغربية، حتى لا تكون هناك أية ألفة أو تفاهم بينهم وبين أهل الكفر .. فلا تكون هناك فرصة لمقايضة أهل الكفر، وخاصة المراهقين منهم وطلبة المدارس الأشقياء في عطلتهم الصيفية.. لكن الشيخ مأمون .. وقبل أن يستقيم ويطلق لحيته كان يتقمص شخصية اللص الظريف، كان يجد لذة فائقة في التسرب إلي داخل الحدائق .. ثم يعود إلي أصدقائه الذين كانوا ينتظرونه بقلوب واجفة عن البعد من الحديقة .. وكانوا يتوقعون سماع أي طلق نلري

على مأمون .. فخفراء المانجو معهم السلاح .. وطوال الليل يمزقون
هدوء مساء الكفر وفجره بالطلقات النارية .. لكن مأمون بشيطانيته
التي عرف بها بينهم منذ أن كان تلميذا في المرحلة الابتدائية وحتى
المرحلة الثانوية .. كان يعود إليهم محملا بما يسيل لعابهم من أنواع
المانجو الفخمة واللذيذة كخد الجميل والهندي والسعدي والتميمور ..
وكان بسعادة وبإحساس بالفروسية يقوم عن طيب خاطر بتوزيع
المانجو عليهم جميعا .. كل واحد منهم حسب النوع الذي يفضلونه ..
والذي كان يثير دهشتهم أنه لم يكن يؤثر نفسه بشيء أفضل منهم ..
كان يكتفي فقط بما تعافه نفوسهم لرداءة النوع .. كان فقط يشعر
بسعادة كبيرة وهو يراهم يأكلون بنهم المحروم .. تذكر مأمون ذلك
.. وتذكر الفلاحين الذين بكى لهما يوم أن طلبت منه البنت حميدة أم
مبروك -والذي كان خوليا عليها في جمع القطن- أن ينتظرها خلف
جدار زريبة الماشية بعد المغرب .. وما أن أتت وفهم قصدها، ولم
يكن بالطبع لديه مانع لمبادلتها الحب .. فلكن كانت تعتمد أن ترقص
رديفها الفخيمين داخل عينيها كلما اقترب منها أو مر بجوارها أثناء
انحنائها فوق شجرة القطن، ولكم حاولت إغراءه بتضخيم نهديها داخل
جلبابها الضيق .. فكانت تحشو مشدات صدرها قطناً .. كانت تقترب
من وجهه أثناء الحديث إليه واضعة صدرها في أنفه تماما، وتسمعه
الغنج والتتهيدات الحارة التي كانت تذوب فيهما مراهقته الفوارة بشكل
دائم .. لذا لم يتمالك نفسه عندما أتت إليه في الموعد وأسلمت نفسها
إليه .. وما أن هم بتحسس جسدها واحتضانها غارقا في لذة لم
يجربها من قبل حتى هبطا عليهما كرجلي شرطة فوق لصين .. لم
يجد أمامه لحظتها غير البكاء والتوسل إليهما .. أما هي فقد أصيبت
بالذهول والوجوم، ولم تتمكن من النطق بكلمة واحدة، كل ما فعلته
بشكل تلقائي ستر جسدها، وغلق فتحة صدرها التي فتحتها منذ دقائق
لمأمون عن طيب خاطر بوله شبق أنثوي .. وأخذت ترتجف
وترتجف كأنها مصابة بالمalaria ((ويبدو أن منظرها المثير للرثاء
والحزن هو الذي خفف من غلظة قلوبهما ورقق مشاعرهما نحوها ..
ولم تكن دموعي وتوسلاتي وحدها هي التي جعلتهما يعتقانا

ويحفظان سرنا حتى الآن...) لكن تلك النظرات المستهجنة الساخرة لم تزل موجودة في عيونهما كلما تصادف وحملق في وجهيهما .. بالرغم من أن البنت قد تزوجت وأنجبت ثلاثة أولاد .. ومما زاد من لمعان تلك النظرات في عيونهما، هو تلك الحالة الجديدة التي صار عليها مأمون، وتمسكه بمظاهر السنة من ملابس قصيرة؛ حتى لا تتلوث من نجس الأرض، وكذلك إطلاق لحيته، لكن ما يزعج الشيخ مأمون - كما يحلو للبعض أن يناديه بعد إطلاق لحيته - أنهما غير قادرين على التصديق بأنه استحال إلي شخصية جديدة تماما مظهرها وجوهرها .. وأن معظم أهل الكفر لا يستطيعون أن ينسوا أبدا، أو أن تمحى من ذاكراتهم شخصية مأمون العريضة الشيطانية التي عاشها في زمن مراهقته، لذا قرر أن يواجه الجميع هنا في المسجد، ويصارحهم بما كان عليه .. وبما آل إليه .. وأنه لم ينس الماضي .. هو يتذكره مثلهم لكنه يندم عليه .. لقد كان ضالا فهداه الله .. وبالرغم من أن الله العظيم يغفر للتائبين .. إلا أن أهل الكفر لا يحبون أن يغفروا له شقاوته في أيام المراهقة .. ولذلك ما أن ادعى منصور السيد وكان في يوم من الأيام شريكا له في شقاوته - أنه يفعل شيئا ويقول وينادي بعكسه .. فهو أكثر من يري (التليفزيون) .. ثم يدعى بأن (التليفزيون) سبب المشاكل في الكفر .. وأدرك أن منصور يومئ إلي ما هو أبعد بكثير من (التليفزيون) .. إنه يترجم غمز أهل الكفر إلي كلام فيه تورية، فقال مأمون بعد أن طلب الكلمة للمرة الثانية من الأستاذ موجهها كلامه ليس إلي منصور وحده بل إلي كل أهل الكفر: ((بسم الله الرحمن الرحيم قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إلا أن يشرك به كما قال الله تعالى : والنفس اللوامة))

وبعد أن سرد وقرأ عليهم العديد والعديد من آيات القرآن الكريم التي تتناول التوبة والتائبين ومكانتهم عند الله وأجرهم وثوابهم .. راح يواجههم بكل شيء يعرفونه عنه .. طفق يبين لهم أنه كان من اشقي شباب الكفر ... وبقدر ما كانت شقاوته عنيفة كانت توبته

عظيمة وصادقة، وكان رجوعه إلى الله -تعالى- عن يقين وإيمان حقيقي، كان عن ثقة واعتقاد حقيقي مخلص .. ولذا لم يعد يمثل الماضي بالنسبة له وصمة عار في حياته .. لأن حياته الحقيقية بدأت منذ تاب، وتوقف عن ارتكاب الأثام عن جهل .. وذكرهم أن خالدا ابن الوليد كان يحارب الرسول الكريم والمسلمين عندما كان ضالا وكافرا .. لكنه بعد أن عرف طريق الحق، وهداه الله إلى الإيمان صار سيف الله المسلول .. ومن أجل هذا أرجو ممن يريد أن يحاسبني على شيء، ألا يحاسبني إلا من يوم أن هداني الله، ومنذ التحاق بالكلية وانقطعت عن رفقة السوء .. نعم كنت كما يقول صديقي منصور كنت مدمنا (للتليفزيون) .. لكن .. وبعد طول تفكير وتحليل اقتصعت أن هذا الجهاز الذي يقتحم علينا بيوتنا بكامل رضائنا هو أس الفساد .. وخاصة على أطفالنا ونسائنا .. فضلا عن تأثيره على الجميع فأقلعت عنه .. ولكن لي كلمة أخيرة إلى الجميع، إذا كنت أنا المذنب الذي تاب ، إلا أنه هناك العشرات من المذنبين لم يتوبوا))

قال هذه الكلمات الأخيرة وهو يخترق بعينين نفاذتين عيون المزارعين اللذين أمسكوا به مع بنيت مبروك .. وكأنه يقتل استهجانهما له، وسخريتهما منه التي تطفح بها عيونهما بأخر طلاقة معه .. بعدها شعر براحة عظيمة وكأنه قد حط من فوق ظهره كل أحمال الدنيا .. أحس بنقاء بلوري، وطهر كامل يغمر كل كيانه بعد أن غسل ما خفي من نفسه بماء الاعتراف والمصارحة .. ألقى بكل ما يختزنه له بعض أهل الكفر من أخطاء في وجوههم ..

بعدها .. ولمدة لحظات ران الصمت على الجميع .. لم يصدقوا أن الشيخ مأمون قد وقف أمامهم معترفا بأخطائه الماضية .. لقد سحب بخفة كل آثامه السابقة التي كانوا يختزنونها له عند الحاجة والمواجهة المتوترة

تدخل جمال متداركا لتلك الحالة النفسية التي سيطرت على الجميع، وخاصة أن الشيخ مأمون ركز على وضعهم جميعا في مقابلة ومواجهة مع الله العظيم الذي يغفر بينما هم المخلوقات الضعيفة لا تحب أن تغفر .. ليس لأنهم غير قادرين على العفو عما سلف .. لكنهم يتذكروهم لأخطائه هو إنما يدارون على أخطائهم هم .. بل ويزينون لأنفسهم أخطاءهم الجديدة ..

فقال جمال بنفس الابتسامة العذبة : يمكننا الآن أن نضع أصابعنا على بعض من الأسباب التي تحول دون تعاوننا وتقاربنا كما كنا .. وما دمنا عرفنا الأسباب فلا شك - وبطريقة ضمنية - نكون قد وضعنا يدينا على الحلول المقترحة لعودة التقارب والألفة من جديد .. لكن قبل أن أترك الفرصة لعرض الحلول أحب أن أوجه الدعوة لكم جميعا باسم عمي الحاج أيوب وباسمي شخصا ليلتئم شملنا جميعا على طعام الإفطار غدا - إن شاء الله - أول أيام رمضان المبارك .. سيكون التجمع في دوار الكفر .. والحاضر عليه أن يعلم الغائب ..

رحب الجميع بالدعوة .. واستأنفوا البحث في الحلول المقترحة .

الفصل الحادي عشر

كانت صراحة الشيخ مأمون غير المتوقعة هي الفرجة التي اتسعت لتتدفق منها كل مشاكل أهل الكفر المعروفة والمجهولة .. كذلك كان هذا النهج من البوح الذاتي، الذي لطم به مأمون خد كل متربص له، المفتاح لطرح كل الحلول المستخرجة من تحت جذور المشكلات الماثلة في أحاسيس وأفكار أهل الكفر ..

انفجر معظم الشباب من الخريجين الجدد، الذين لم يعينوا ولم يتسلموا أعمالاً بعد، بالرغم من حصولهم على مؤهلاتهم الدراسية سواء المتوسطة أو الجامعية منذ سنوات، وما هم يجلسون في بيوت آبائهم مثل النساء .. طاقاتهم معطلة .. كذلك كانت الشكوى من بعض موظفي الحكومة الذين يسافرون يومياً إلى مدينة فاقوس أو إلى مركز الحسينية المجاور له، وأن مرتباتهم الشهرية لا تكفيهم سفراً، وفي الوقت نفسه لا يمكنهم الإقامة بعيداً عن بيوتهم بالكفر، نظراً لمسئولياتهم العائلية، وكذلك التكلفة العالية لاستئجار مسكن وتأثيثه سواء في فاقوس أو الحسينية، وبذلك لن يتمكن أي منهم من مجرد الحلم في الزواج أو الاستقرار، لم يعد لديهم غير حلم يتيم وهو السفر إلى الخارج، وحتى هذا الحلم الوحيد صار من الصعب تحقيقه، فالسفر يحتاج إلى مبلغ وقدره ..

بعض المزارعين وخاصة الذين يمتلكون مساحة شاسعة من الأرض الزراعية رددوا من جديد على مسامع الجميع المشكلة التي يعانون منها منذ فترة ليست قصيرة، منذ أن سمم سعد الأقرع أفكار الفلاحين بشهوة السفر إلى الدول العربية، وكيف أن الشح والندرة قد طالا اليد العاملة الزراعية المدربة، لم يعد هناك الأيدي التي تكفي لزراعة أراضيهم؛ مما أدى إلى ترك الأرض بوراً أحياناً، وأحياناً أخرى تزرع بدون عناية أو خبرة؛ مما قلل ناتج الأرض من

المحاصيل الزراعية، وصرخوا في وجه الجميع بأن المشكلة لم تنزل قائمة، بل وتتزايد يوما بعد يوم .. مع زيادة هجرة بقية فلاحي الكفو إلى الدول العربية ليعود كل منهم بالمسجل و(التليفزيون) الملون و.....

ضح الشيخ مأمون محذرا الجميع من أن مدرسة سعد رزق الإعدادية ستتهار فوق رؤوس أولاد الكفر، إذا لم يتداركوا الكارثة بسرعة، وأوضح لهم أن سعدا في كل مرة يقوم برشوة مهندس المباني في التربة والتعليم، الذي يأتي بناء على بعض الشكاوي التي نرسلها محذرين من خطر سقوط البناء فوقنا، وبالتالي فإن المهندس عديم الضمير يكتب تقريره بصلاحيه المبني .. لأن سعدا يتقاضى شهريا مبلغ ثلاثمائة جنيه، ولا يحب أن يفقدهم، حتى ولو كان مقلبل ذلك أرواح أبناء الكفر من طلاب ومعلمين.....

وهنا لم يطق العمدة الصبر والسكوت، بل رفع صوته بشجاعة سيف يلمع تحت شمس الصيف: ((بالنسبة لموضوع المدرسة الإعدادية سأتحمل أنا وحدي شرف إقامة مدرسة جديدة .. لن تكون ملكا لأحد .. ستكون ملكا لأهل الكفر كلهم .. ستكون مدرسة كفر مفتاح الإعدادية الثانوية .. سأثيرع بفدان من أرضي الزراعية .. وسأقوم ببناء المبني وأسلمه إلي وزارة التربية والتعليم .. وإن شاء الله سأبذل أقصى ما في وسعي ليكون جاهزا في أول العام الدراسي القادم و.....))

وقاطع أهل الكفر جميعهم العمدة الحاج أيوب بالتصفيق والهتاف له بشكل عفوي وتلقائي .. في مضمة حب أضاعت صدورهم وقلوبهم جميعا راحوا يكيلون الشكر والدعاء له بالصحة وطول العمر .. لكن ارتفع صوت الشيخ مأمون من بينهم بعد أن هب واقفا مشيرا لهم في الحاج بالتوقف للحظات .. وما أن اضمحلت الأصوات وتهافتت حتى قال مأمون مسيطرا عليه شعور جارف

بالامتنان للعمدة وفي اللحظة نفسها مستنكراً سلبية أهل الكفر: ((بالطبع مهما حاولت أن أعبر عن عظيم شكري بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن إخواني المدرسين وأبنائي الطلبة لعمي الحاج أيوب عمدة الكفر .. فلن أستطيع .. لكن كل ما أستطيع أن أقوله له بإخلاص شديد أن ثوابه وأجره العظيم عند الله يفوق آلاف بل ملايين المرات تلك الكلمات الشاكرة التي تتصاعد من أعماقنا بصدق .. لكن في اللحظة نفسها .. يجب أن ينتبه أهل الكفر جميعاً إلي أن الناس بخير ما تعاونوا .. وأنهم من العار عليهم أن يظلوا هكذا يسبحون كالغرقى في سلبيتهم .. فنحن نشكر العمدة لتبرعه بأرض المدرسة .. لكن كيف نتركه يتحمل عبء بنائها وحده؟! .. لماذا لا يشترك أهل الكفر جميعهم صغيرهم وكبيرهم في بناء مدرستهم؟! .. مدرسة كفر مفتاح .. كل حسب قدرته .. بالمال .. بالعمل .. بأي شيء .. يجب أن يشعر كل واحد منا أنه قد وضع حجراً أو حفنة رمل في جدرانها و...))

وقاطعة الناس بالتأييد والتهاتف بالموافقة، وقال أحدهم لجاره بإخلاص: ((هذا هو أفضل كلام سمعته من الشيخ مأمون اليوم))

وإذا كان الجميع قد وافقوا على اقتراح مأمون بالتعاون في بناء المدرسة فوق الأرض التي تبرع بها العمدة .. إلا أنه لم يرحب بالحل الذي طرحه أحد أبناء الكفر الذي يعمل صحفياً في القاهرة وجاء هذا العام لكي يحضر الأسبوع الأول من رمضان في الكفر مع أسرته .. فلقد قال بكل وسط يجمع بين الناس علي مائدة الإفطار الجماعي في الدوار .. فما دام (التلفزيون) وبرامجه هي من العوائق الخطيرة لعودة الناس إلي سابق عهدهم الجميل والاجتماع على مائدة رمضانبة واحدة .. فما المانع أن نحضر (التلفزيون) الملون إلي الدوار .. وتترك الفرصة لمن يحب متابعة البرامج أن يتابعها بعد الإفطار .. وبالرغم من أن هذه الفكرة قد لاقت استحسان الجميع تقريباً .. إلا أن الشيخ مأمون لم يسلم بها تماماً .. اعتقاداً منه - وكما

أوضح لهم - أن ذلك قد تكون فرصة لانتشار الفساد لدى غير المتابعين (التلفزيون) من قبل .. وبدلاً من علاج المشكلة نخلق بأنفسنا مشكلة جديدة .. لكن مع ذلك أعلن بأنه لن يستطيع أن يخرج عن رأي الجماعة في إحضار (التلفزيون) إلى الدوار، وإن كان هو نفسه لن يسمح لنفسه بمتابعة (التلفزيون) أبداً .. إلا فقط في البرامج الدينية .. وقبل أن يعلن الأستاذ جمال عن تبرعه (بالتلفزيون) الملون طوال شهر رمضان لمشاهدته في الدوار .. نهض الحاج عبد العزيز السندسي .. وهو أحد شباب الكفر من الفلاحين الذين تمردوا على فلاحية الأرض، وهجرها إلى أعمال المعمار، وتعلم مهنة نجار مسلح .. وبعد أن تغيب عن الكفر لمدة أربع سنوات قضاها في السعودية عاد منذ شهرين .. تزوج في بيته الجديد الذي تعهد ببنائه والده في غيابه .. وعاد مرتدياً الجلباب السعودي الأبيض .. وأصبح الناس يطلقون عليه الحاج عبد العزيز .. نهض وسط الجميع مستعظفاً لهم متوسلاً إلي جمال: ((أرجوكم .. اسمحوا لي بأن أشارك معكم في هذا الفرع برمضان الكريم .. سأتعهد بإحضار (التلفزيون) الملون إلى الدوار))

أراد جمال أن يرد رجاء الحاج عبدالعزيز، وبصر على أن يحضر هو (التلفزيون) .. لكنه قرأ في عيني الحاج عبد العزيز معان كثيرة .. كان يرجوه من أعماقه ألا يكسر بخاطره أمام أهل الكفر .. كان يطلب منه بشدة أن يرفع من قامته في حضور أقرانه من أهل الكفر، وخاصة الذين تعلموا وحصلوا على شهادات .. بينما حالت ظروفه المادية الصعبة أن ذاك دون أن يكمل تعليمه .. كان يقول له بصراحة عيني ونظراتهما، أن المال صار معه، ولا ينقصه إلا أن يشعر أهل الكفر بقيمته وأهميته .. قرأ جمال كل هذا بنظرة خاطفة .. فلم يشأ أن يخيب أمله .. فابتسم له مشجعاً وحتى يكون مثالا لغيره من أبناء الكفر الذي تصادف حضور معظمهم من الخارج مع عطلة الصيف، وحلول شهر رمضان وخاطبه بنبرة تنضح بالحب والتقدير: ((بارك الله فيك يا حاج عبد العزيز، وأكثر الله من أمثالك.))

يبدو أن كلمات التشجيع هذه قد فتحت شهية الحاج عبد العزيز لتقدير الناس له، فقال ببهجة وسعادة وإصرار: ((وأرجو أيضاً أن تقبلوا مني مبلغ ألف جنيه تبرعاً مني لبناء المدرسة الجديدة))

ولم يملك جمال في غمره تقديره له غير أن يصفق له أمام الجميع محبباً، وكذا فعل كل الحضور، ووجدها جمال فرصة سانحة لم يشأ أن يبدها فخاطب الشيخ مأمون قائلاً في مداعبة: ((ما دمت أنت صاحب فكرة التعاون في بناء المدرسة .. لذا فنحن جميعاً نثق بك في جمع مبالغ التبرعات من أهل الكفر .. وتشكل لجنة معك بهذا الخصوص .. وأرجو أن تقيد أمام اسمي مبلغ ألفي جنيه))

وضح المسجد بالتصفيق من جديد للأستاذ الذي استحال إلي رجل خجول تتناثر على جبينه الساطع حبات العرق.

وكان ما تبرع به كل من الحاج عبدالعزيز السندسي والأستاذ جمال صفى الدين من مبالغ نقدية كان بمثابة القطر الذي يسبق الغيث .. إذ سرعان ما نهض واحد بعد آخر ليعلن عن المبلغ الذي سيتبرع به للمدرسة الجديدة .. وبين التصفيق والتهاتف أحضر مأمون في الحال قلماً وورقة، وشرع يمارس واجبه المكلف به من الأستاذ جمال برضاء أهل الكفر، وأخذ يسجل الأسماء والمبالغ قرين كل متبرع..

نهض المهندس منصور السيد، وقد سيطر عليه شيء من الخجل والأسف؛ ليعلن أمام الجميع: ((بما أنني لا أملك مالا كي أتبرع به للمدرسة الجديدة .. لذا سيشرفني أن أتولي أنا الإشراف علي بناء المدرسة، ابتداءً من تأسيسها؛ حتى لا تتكرر مأساة مدرسة سعد التي استخدم في بنائها خامات مغشوشة .. كان يغش نفسه .. لكن مدرسة الكفر لابد أن يتفرغ لها أولاد الكفر وأنا أولهم .. سأضع كل علمي الطازج وخبرتي تحت تصرف مشروع المدرسة

حتى تقف شامخة، وتفتح ذراعيها بحب لكي تستقبل إخواننا في بداية العام الدراسي القادم إن شاء الله)).

في هذه المرة كان تصفيق جمال حادا وملتهبا؛ تقديرا لواحد من تلاميذه النجباء، وتبعه الحضور في تحية المهندس الشاب..

صار واضحا أن المسجد تحول إلى ساحة تفاؤل وسعادة .. كانت الألفة ترفرف بأجنحتها الخضراء الندية في كل الأرجاء وتنتثر معها روحا جديدة بين الجميع، وطفقت تدب في عروقهم دقات بعد دقات من الود والتقارب. في لحظات شعر كل واحد منهم بأنه لم يعد غريبا أو بعيدا عن أي إنسان آخر في الكفر. كبار السن انتابتهم قشعريرة لذة العودة للماضي المفقود .. أحسوا بأن أيام زمان قد عادت إليهم من جديد .. مرة أخرى سيعايشون أحاسيس ومشاعر ظنوها قد ولت مع أيام هربت ولن تعود مرة أخرى، تذكروا شبابهم عندما كانوا يجتمعون حول مائدة رمضان في الدوار، يوم أن كان أي منهم يخاطب جاره بود وهو يجتمع مع أولاده حول الطبلية سائلا له عن نوع الطعام الذي يتناوله، فإذا ما كان من نوع الطعام الذي يحبه طلب منه أن يغرف له بعضا منه .. ويسارع الآخر بالاستجابة ببهجة ورضا .. كانوا يتبادلون الطعام على الإفطار وهم سعداء .. لم يكن أي واحد منهم يفكر في أن يعلق عليه بابه .. كانوا جميعا فقراء لكنهم كانوا سعداء .. ووخزهم توجس ضعيف فتساءلوا ((هل حقا ستعود تلك الأيام الهاربة؟.. وإلي متى ستستمر في الكفر؟! - هل ستقتصر على أيام شهر رمضان فقط ؟ أم ستتغلب على روح الجشع فينا وتعيش معنا إلي الأبد؟!!)) .

الفصل الثاني عشر

فجأة .. استيقظت ديناصورات الحقد والغضب في صدر الحاج سعد أبو رزق عندما سرد له خليل أبو علي الذي يعمل في مصنع الطوب الأحمر، الذي يملكه الحاج سعد والموجود في كفر مفتاح، فلقد كان سعد يتعامل مع هذا العامل بالذات علي أنه العين السرية التي يتابع بها كل ما يخصه أثناء غيابه عن الكفر .. وكان يشدد عليه دائما بضرورة إبلاغه أولاً بأول عما يقع في الكفر .. وما أن سمع وشاهد كل ما وقع في المسجد عقب صلاة الجمعة لهذا اليوم حتى عاد إلي بيته، وارتدى جلبابه النظيف والبلغة التي لا يلبسها في قدميه إلي عند نيته الذهاب إلي خارج الكفر .. وخاصة إلي مدينة فاقوس

قص كل ما سمعه على أذني الحاج سعد، الذي كان يريح كل جسده فوق دكتته الخشبية التي وضعها هو الآخر ملاصقة لباب مستودع مواد البناء في وجه الطريق؛ لمتابعة المارة، وكان عدوى صديقه الحاج صالح قد انتقلت إليه وصار مدمناً لمراقبة النساء العابرات من أمامه، لكنه في هذه اللحظات لم تكن عيناه متابعيتين لأية امرأة مهما كان جمالها؛ فالمصيبة التي حملها له خليل أبو علي كانت فوق توقعه واحتماله، جعلته يشعر بأن أيام الراحة التي اجتاحتها منذ أن ترك الكفر للعمدة وجمال، وزوجته أم سعدية وبناته ولكل الحاقدين عليه قد أذنت بالرحيل، بدأ يحس بأن رياح شر وصراع ساخن أخذت تهب عليه من تحت عقب الباب الذي سده واستراح منذ فترة طويلة .. منذ أن تزوج جمال صفى الدين نسمة ابنه العمدة .. ومنذ أن تزوج زوجته الجديدة وأقام معها نهائياً في فاقوس، تركز متفتقاً من الغيظ وهو يستمع من رجله كيف أن الكفر كله يتأمر عليه وعلى رزقه .. كيف أنهم جميعاً وعلى رأسهم عمدة الكفر الذي تبرع بفدان أرض من أجل بناء مدرسة جديدة بدلاً من مدرسة سعد الإعدادية ..

همس لنفسه بتأجج: ((هل عاودت إعلان الحرب عليّ وعلى رزقي
ياحاج أيوب .. هل غرك وجود جمال بجوارك وكل أهل الكفر؟ ..
تتظاهر بأنك تتبرع بفدان أرض ثمنه لا يقل عن خمسة وعشرين ألف
جنيه مدعياً بأن هذا لصالح الكفر وأهله .. لإنقاذ أرواح أولاد الكفر
من الموت تحت أنقاض مدرستي الآيلة للسقوط .. بينما الحقيقة لا
يعرفها أحد غيري .. ليس الله ما تفعله .. لكنه للكيد لي أنا، من قبل
حاولت محاربتك حتى لا ابني مصنع الطوب الأحمر .. وانتصرت
عليك .. وبنيت المصنع .. وها هي مدخنته تخترق عينيك في كل
صباح ومساء .. لكن لا يهم .. فكما انتصرت عليك من قبل .. فلن
أنهزم أمامك وأمام أهل الكفر الحقدة .. سأنتصر عليكم جميعاً ..
وسيعلم أهل الكفر من جديد وعلى رأسهم العمدة وزوج ابنته جمال
حبيب الشعب من هو الحاج سعد .. ومن عفر عفاراً سقط على
رأسه)).

واستدار في الحال إلي خليل الذي لم يزل جالساً بجواره
باستكانة وأدب متظاهراً بالحزن لما ينتويه أهل الكفر لمدرسه الحاج
سعد، وسأله بصوت خفيض: ((أتعرف المبلغ الذي جمع لبناء
المدرسة الجديدة حتى الآن؟))

أجابته خليل دون إبطاء: ((أعتقد أنه وصل في المسجد إلي
حوالي عشرة آلاف جنيه يا عمي الحاج سعد .. هز سعد رأسه
وهرش بسبابته أسفل ذقنه وعلق ساخراً: ((ويريدون بناء مدرسة
إعدادية ثانوية بعشرة آلاف جنيه أو حتى بمائه ألف جنيه!!)).

لم يجب خليل عن السؤال الساخر وكأنه لم يسمعه .. وواصل
سعد مستفسراً من خليل: ((ألا توجد لديك أخبار جديدة عن الكفر ..
عن البنات وأهمهم؟))

شقيق خليل شهقة ندم عندما لطمه سؤال سعد منبهاً ذاكرته التي كانت على وشك أن تنسى الخير الذي شاع في الكفر عن هروب الدكتور أنور زوج ابنته سعدية من الكفر .. وتخليه عن الإشراف على مزرعة الدواجن بعد أن فرغها من العلف اللازم .. وكيف أن سيارات نقل من المنصورة قد جاءت إلي الكفر محملة بعلف الدواجن للمزرعة .. وأخبره أيضاً أن هناك مهندساً زراعياً من المنصورة هو الذي يتولى الإشراف على دواجن المزرعة حالياً، بعد أن اختفى الدكتور أنور .. وهناك كلام يقال بين أهل الكفر أن الأستاذ جمال هو الذي تدخل في الوقت المناسب وأحضر هؤلاء الناس من المنصورة بعد أن لجأت إليه الحاجة سعدية و...

قاطعة الحاج سعد بغضب أشد وقال ناهراً إياه: ((ولماذا لم تخبرني في حينه يا حمار؟!))

أجاب خليل مضطرباً : ((لم أسمع بهذا إلا في صباح اليوم وبالضبط قبل صلاة الجمعة .. فكرت أن أتيك بعد صلاة الجمعة .. وكانت فرصة حلوة لأنني حضرت المؤامرة عليك يا عمي الحاج -ربنا يطول لنا في عمرك-)).

لم يجبه سعد .. انصرف عنه تماماً .. كأنه غير موجود بجواره .. أخذ يضرب كفاً بكف .. أحس خليل بأن الغضب قد صهر الحاج سعد، وحوله إلي كتله من اللهب والدخان الأسود .. لقد استحالت بشرته إلي السواد نفسه ودخان السجارة كان يخرج من بين شفثيه وفتحتي أنفه متواصلاً مختلطاً بالنيران .. مما جعل يفكر في النهوض والعودة مرة ثانية إلي الكفر؛ قبل أن يتحول إليه الحاج سعد بجنونه ورعونته وقد يؤذيه .. فهو يعرفه جيداً ويعرف غضبه وعدم قدرته على السيطرة على الشر في نفسه .. فكيف به وقد أسمعته لتوه ما زلزل كيانه وفجر كل براكيته .. لكنه سمع سعداً يكلم نفسه باحترق: ((بنت الكلب سعدية .. حذرتها ألف مرة من الدكتور

زوجها .. لكنها لم تعد تسمع كلامي .. عندما أصرت على طلب
وصل الأمانة المأخوذ عليه حذرته من عدم إعطائه له .. لكنها ..
يبدو أنه ضحك عليها واستغفلها وأخذ منها وهرب .. لكن هذا النذل
يضع البنت ودجاجها في هذه المحنة ويهرب .. يريد أن يقضي عليها
وعلى أموالها؟؟!! .. ابن الكلب الرمة .. لكن لماذا لم تلجأ إليّ سعادة
.. فضلت اللجوء إليّ جمال؟؟!! .. إذن صار ذهابي إليّ الكفر
ضرورياً .. لا يمكن أن أترك حالي ومالي بيدد أمام عيني وأنا جالس
هنا .. لكن الليلة لا يمكن الذهاب إليّ الكفر .. يجب أن أتسحر مع
نوال .. إن هذه أول سحوره أفضيها معها .. وهي جهزت كل شيء)).

وبعد أن فكر هنيهة رفع رأسه متوجهاً إليّ خليل بسؤال
مفاجئ : ((ألم تقل أن جمال قد دعي الكفر كله إليّ الإفطار؟؟.. وطلب
من الحاضر أن يعلم الغائب؟؟!!))

أجاب خليل باستغراب للنبرة التي يسأل بها الحاج سعد،
وكذلك للموضوع الذي يتناوله السؤال : ((نعم يا عمي الحاج.. هو قال
ذلك أمام الجميع))

خاطبه سعد بمرح مفاجئ: ((وأنت كنت حاضراً.. ولقد
أعلمتني لأنني كنت غائبا)).. وانفجر سعد فجأة في ضحك هستيري ..
مما أربع خليل أبو علي، وجعله ينكمش في جلسته مزوراً بعيداً عن
وجه سعد، الذي طفح بالسعار والبشاعة.. وأراد أن يكبح هذه
العوارض الجنونية التي سيطرت على سعد؛ فصرخ فيه من بين
الخوف والاستفسار: ((ماذا تعني بهذا القول يا عمي الحاج؟؟!!))

خفف سعد من إفراطه في الضحك المصطنع، وهذا من نفسه
في الحال، وأوضح لخليل الذي أدرك أن الرعب قد تملكه تماماً: ((لا
تخش شيئاً يا حمار.. كل ما في الأمر أنني سأحضر مع أهل الكفر
أول إفطار في شهر رمضان..))

قاطعة خليل متعجبا ومستكرا: ((في دوار الحاج أيوب العمدة!!!))

عاد سعد إلي ابتسامته الخبيثة من جديد، وقال متصنعا الدهشة لسؤال خليل: ((ماذا دهاك يا جش!!!..ألسأ أنا واحدا من أهل الكفر?...أليس الحاج أيوب هو عمدتنا!!!))

قاطعه خليل مستدركا في استنكار: ((لكنك يا عمي الحاج لست على وفاق معه..كل الناس تعرف هذا..وهو يعرف هذا و..))

قاطعه سعد بحدة ومسفها لكلامه: ((اسكت يا أبله.. مهما كان بيننا من خلاف.. فلم نزل أولاد قرية واحدة.. ثم إن مصر تصالحت مع إسرائيل بعد الحروب والدماء.. ألا تريدني أن أصالح العمدة.. وهل هناك مناسبة أفضل للصالح من حلول شهر رمضان الكريم يا مغفل!!!)).

لم يعلق خليل وسط دهشته.. ظل صامتا يمحط شفته السفلي في الهواء غير مصدق.. ثم يعاود ليمعن النظر في وجه الحاج سعد في محاولة مستميتة لقراءة كل ما يدور في أعماق الحاج سعد.. فهو يعرف جيدا أن هذا الذي يقول به الحاج سعد لا يمكن أن يكون السبب الحقيقي.. لكن بالتأكيد هناك لعبة كبيرة، وخطبة خبيثة وخطيرة يخطط لها الحاج سعد.. والذي يجعله علي يقين من هذا التخمين.. تلك الحالة بل الحالات النفسية التي اخترقها الحاج سعد في الحال والتو بكل كيانه ووجهه الذي تشكل أمامه، وفي هذه الجلسة إلي مائه وجه ووجه بتعبيرات شيطانية تفح برائحة الانتقام والحق.. فلا يمكن أن يتحول في لحظة وبقدرة قادر إلي بحر من التسامح واللين والطيبة.. فهذه المعاني تتناقض وطباع سعد الأقصر التي يعرفها.. وتسرب إليه في اللحظة نفسها إحساس بالخوف علي الكفر من شر الحاج سعد.. فهو ليس غريبا عن الكفر.. كما أنه يعرف

جيدا تاريخ الحاج سعد منذ أن كان أجيرا وخادما للماشية عند حضرة العمدة .. ويعرف تاريخ تمرد سعد على كل جميل وطيب في الكفر .. ويعرف عنه أنه لا يحب إلا مصلحته هو فقط .. لكنها لقمة العيش المرة التي ربطته بسعد منذ أن جعله يعمل معه في مصنع الطوب الأحمر منذ إنشائه .. لكنه مع ذلك لم ينس أن أولاده يتعلمون في مدرسة سعد الإعدادية الأيلة للسقوط .. وأن العمدة وأهل الكفر لم يفكروا في بناء مدرسة جديدة إلا حفاظا على أرواح أبنائه وأبناء الكفر .. فماذا ينوي سعد بتصرفه المفاجئ هذا .. ماذا يدبر بالضبط للكفر وأهله .. حاول خليل أن يتوغل بقدر استطاعته عبر عيني سعد إلي ما يدور تحت عظام جمجمته .. لكن يبدو أنه ارتد خائبا عاجزا عن استنباط أي توقع أو فكرة محددة لما يضمرة سعد في أعماقه من شر .. هو متأكد تماما من أنه قد اختزن كمية هائلة من الشر في أعماقه تجاه الكفر وأهله .. لكن ماهيته ونوعه يتستر عليهما سعد تماما ..

وفكر في أن يستدرج سعد، ويتسلل إلى كل ما يخبئه في أعماق نفسه، أو حتى إلي بعض منه بسؤال مفاجئ: ((وهل ستركهم يتآمرون عليك يا عمي الحاج، وبينون مدرسة جديدة؛ حتى يحرموك من الاستفادة بإيجار مدرستك؟!!))

ابتسم له سعد في ثقة وراح يجرده من ثوب الخبث والبراءة التي يدعيها وقال له كأنه يبلغه رسالة إلي أهل الكفر: ((ما دمت على قيد الحياة .. فلن تكون هناك مدرسة إعدادية في الكفر غير مدرسة سعد رزق الإعدادية المشتركة))

هز خليل رأسه بالموافقة والتأييد: ((تمام يا عمي الحاج))

ولم يكن سعد بحاجة إلي سماع أي تأييد منه، ولذلك قاطعه مستفسرا باهتمام: ((بكم جنيه تبرع جمال المحامي لبناء المدرسة؟))

رد عليه خليل بفخر وسعادة خائنه وخرجت في صوته:
((تبرع بالفي جنيه يا عمي الحاج. ابئسم الحاج سعد لنفسه وهتف
مؤكدًا: ((سأنتبرع لمدرسة بلدي بضعف ما تبرع به.. أنا ابن
الكفر.. هو غريب عنا.. أنا أحق بالتبرع لمدرسة بناتي منه
هو.. سأنتبرع بأربعة آلاف جنيه..))

لم يصدق خليل، فشهِق من جديد شهقة تشبه شهقة خروج
الروح من الجسد، ولحقها بسؤال: ((هل يعقل أن تفعل ذلك وأنت
الخاص من بناء هذه المدرسة الجديدة!!؟))

تضايق الحاج سعد من الطريقة التي وجه بها خليل سؤاله ..
فمد يده على قدر استطاعته ولكزه في أعلي كتفه موبخا له: ((ماذا
تقول يا حمار.. هل نسيت أني الحاج سعد ومن أغني أغنياء كفر
مفتاح!!؟))

تيقن خليل تماما أنه لن يتمكن من الوصول إلي أعماق سعد
ليستخرج ما بها .. بل وجد نفسه - وكلما طالت جلسته معه - يغرق
أكثر وأكثر في بحور خيئه وغموضه .. لذلك فضل أن ينهض في
الحال مستأذنا في الرحيل والعودة إلي كفر مفتاح .. حتى يلحق
بسيارة تنقله إلي بيته قبل أن تخف السيارات ويحرم هو من تناول
أول سحوره مع زوجته وأولاده في الكفر..

سلم على الحاج سعد الذي شدد عليه في دعوته إلي تناول
طعام السحور معه في بيته الجديد، وبعد أن رفض خليل الاستجابة
للدعوة .. عاد سعد وشدد عليه بعدم البوح بسر زيارته إلي الكفر غدا
مع أهل الكفر في الدوار - لكي يحيى مجد العمدة القديم .. وكذلك
عدم التصريح لأحد بأنه سينتبرع في الغد بأربعة آلاف جنيه .. وبعد
أن أقسم خليل له بأغلظ الإيمان بأنه سيكون أميناً على كل أسرار ه ..

انسل من بين يديه مهرولا إلى موقف السيارات الأجرة التي تمر
بكفر مفتاح.

الفصل الثالث عشر

في تلك اللحظات الروحية التي تسبق أذان مغرب رمضان المبارك .. وبينما كانت أسماع وقلوب أهل الكفر تتجاوب مع الآيات القرآنية الكريمة، التي تشرق عليهم من شاشة التليفزيون الملون، الذي أحضره الحاج عبد العزيز السندسي كما وعد إلي دوار الكفر .. كلن الإحساس الأخوي الدافئ ينتشر وينداح في أرجاء المكان .. كانت الابتسامة وحدها هي التي تجاوب الابتسامة الأخرى بين الحضور .. كان الأطفال الذين أصروا على اللحاق بأبائهم والجلوس معهم في الدوار هم أكثر هؤلاء الحضور انبهاراً وبهجة بهذا التجمع وتلك القدسية التي كللت جبين جميع الحاضرين .. وبين لحظة وأخرى كان يرتفع صوت واحد من بينهم -سعادة- يهنئ جميع الحاضرين بمقدم الشهر الكريم .. داعياً لهم بدوام الألفة والمحبة والخير على أهل الكفر جميعاً .. ويرد عليه الجميع بكل إخلاصهم وإصرارهم على استمرار هذا التجمع الرمضاني، مرسلين النظرات الشاكرة المفعمة بالحب والود إلي كل من الأستاذ جمال وحضرة العمدة لدعوتهم إلي هذا الإفطار الجماعي ..

وبينما كانت وجوه كل الحضور تتضح بأحاسيس الرضا والأمان والسعادة .. إذ بمشاعرهم وسحناتهم تتقلب فجأة، وكان الشياطين التي قيدت في رمضان، قد فكّت قيودها وهجمت عليهم، عندما اقتحم سعد الأقرع عليهم اجتماعهم .. واستعاذ بعضهم بشكل تلقائي بالله من الشيطان الرجيم .. وهمس كل منهم إلي جاره بقلق وضيق: ((لماذا يحضر هذا الشيطان هنا؟! ألم تقيد كل الشياطين))

أما سعد نفسه فلم يلق بالآ إلى تلك الوجوه التي تحولت نصارتها إلي ذبول وتجهم .. لكنه قرر أن يقتحمهم جميعاً -ورغم

أنوفهم- بصوته الجهوري المشروخ، كاشفاً عن أسنانه التي لم تزل كبيرة وصفراء لاصقاً على شفتيه ابتسامة خرسانية جامدة .. توجه في الحال إلي الأستاذ جمال، الذي نهض من فوره مرحباً به متظاهراً بالسعادة لمجيئه وحضوره مثل بقية أهل الكفر .. لكن العمدة قطب جبينه، وبدا عليه عدم الترحيب به وبمجيئه .. إلا أنه تذكر أنه في شهر رمضان .. شهر التسامح والغفران .. وأن سعداً جاء حتى دواره .. كأنه جاء إليه بيته .. وبالرغم من المصائب والمشاكل التي سببها للعمدة .. إلا أن العمدة اضطّر إلي النهوض لكي يصافح سعداً الذي مد يده إليه طالباً السماح والعفو بمناسبة هذا الشهر الفضيل..أقشعر بدن العمدة عندما فوجئ بسعد يهجم على جسده محتضناً له ومقبلاً له في وجهه وفوق رأسه، في حضور الجميع .. وكذلك زاد سخط الناس، وخاصة الذين يعرفون سعداً على حقيقته وتعاملوا معه..وكذلك يعرفون النزاعات التي وقعت بين العمدة وسعد، والتي اختلقها سعد نفسه جاعلاً من نفسه نداً للعمدة .. وخاصة أن سعداً قد أفضى إلي البعض بأنه يجهز نفسه لكي ينتزع العمديّة من الحاج أيوب .. في الحقيقة كانت مفاجأة للجميع أن يحضر سعد .. لذا اختفى مع مقدمه إحساس الحب الدافئ الذي كان يغمرهم منذ لحظات .. البعض توجس شراً من اقتحامه هذا .. الوحيد الذي لم يفاجأ به وبحلوله بينهم هو الأستاذ جمال صفي الدين .. فلقد علم بالأمس .. أن الحاج سعد ينوي أن يحضر طعام الإفطار غداً .. وكذلك ينوي التبرع للمدرسة الجديدة بمبلغ أربعة آلاف جنيه .. ضعف المبلغ الذي تبرع به جمال .. فقد أفضى العامل خليل أبو علي إلي الأستاذ جمال بمجرد عودته خائفاً بعد مقابلة سعد في فاقوس، وبعد أن رأى من جنونه وحقده ما رأى .. أفضى إليه بمخاوفه من نية الشر التي يبيتها سعد في نفسه للمدرسة الجديدة .. وتوسل إلي الأستاذ أن يلزم جانب الحذر الشديد من هذا الرجل، الذي لا يعرف على وجه التحديد ماذا يدبر للكفر وأهله .. كما توسل لجمال أيضاً بأن يحفظ سره، ولا يفضي به إلي أي مخلوق آخر .. حتى ولو كلن حضرة العمدة صهره .. حتى لا يقطع الحاج سعد عيشه .. وأوضح

له أن ضميره لم يطاوعه في الذهاب إلي بيته قبل التحدث إليه بكل ما سمعه وشاهده من سعد أبي رزق .. لذا كان جمال يعد نفسه جيدا لهذا اللقاء .. وهمس إلي الشيخ مأمون في صلاة العصر بضرورة إحضار كشف التبرعات معه عندما يأتي إلي الدوار مغرب هذا اليوم؛ فقد يفكر البعض في التبرع للمدرسة..

بعد أن تناول الجميع طعام الإفطار، وذهبوا إلي المسجد لصلاة المغرب .. أعلن سعد علي الملاً أن السعادة غمرته تماماً عندما علم بمشروع المدرسة الثانوية الجديدة في الكفر .. ولذا فهو يتبرع عن نفسه وعن بناته بمبلغ أربعة آلاف جنيهه .. وقع هذا الإعلان على أذان الناس مواقع شتى .. بعضهم فرح بالمبلغ وشكر الحاج سعد .. ولكن البعض الآخر لم يرتح لهذا التبرع .. ومن بينهم العمدة والشيخ مأمون الذي كان علي وشك أن يرفض استلام المبلغ منه عندما قدمه له سعد أمام الجميع، لولا أن الأستاذ أوما له برأسه ليتسلم المبلغ من الحاج .. فتسلمه عن كراهية منه .. فهو يكرهه كراهية الأرض للدم .. فهو يعرف عن ضميره الميت الكثير والكثير .. ويكفيه تلك الرشوة التي يدفعها للمختصين لكتابه التقارير الكاذبة .. والتي سينرتب عليها أن تتهدم جدران المدرسة الخرسانية فوق رؤوسهم من أجل جنيهات معدودات .. انتبه بعضهم إلي ادعاء سعد بأن المدرسة التي ستبنى هي مدرسة ثانوية للكفر .. وكأنه لا يعلم أن المدرسة التي ستبنى ستكون إعدادية ثانوية .. وستكون بديلة عن مدرسته هو .. فكر الشيخ مأمون أن يبرز هذه النقطة لسعد وفي حضور الجميع، لكنه اعتقد أن هذا الكلام قد يطور الأمر وينتهي إلي نزاع أو شجار في أول ليلة من ليال شهر رمضان .. ففضل الصمت علي مضض، وقرر أن يكمل السهرة مع الجميع بسلام .. بينما اعتذر الحاج سعد مقهقها بأنه كان يتمني أن يطيل معهم الجلوس .. لكنه سيضطر إلي العودة إلي فاقوس الليلة مباشرة بعد أداء صلاة العشاء لأنه ترك زوجته الجديدة في فاقوس بمفردها، وهي حامل في شهرها الأخير، وأن مسئوليته صارت مضاعفة .. قال هذا علي سبيل

الدعابة والضحك .. لكن ضايقه أن أحدا لم يضحك، لذا وجد نفسه يتكلم إليهم من جديد بشكل جاد ومنقبض، وقال مذكرا لهم وخاصة الأستاذ جمال والعمدة: ((أنتم تعرفون أنني مقاول ولدي كل الاستعدادات والمواد اللازمة لبناء المدرسة الجديدة .. وطبعاً أنا ابن البلد وأولى من الغريب .. وسيكون سعري أقل بكثير من المقاول الغريب.))

بعد أن قال سعد الكلام السابق في حضور الجميع .. صارت لدى غالبية الحضور قناعة بأن سعدا لم يتبرع بهذا المبلغ الكبير لوجه الله .. لكنه يمهد لكي يحصل علي عقد بناء المدرسة الجديدة .. وأنه بالتأكيد حسبها بهذه الطريقة. يدفع بيده اليمنى أربعة آلاف جنيها .. لكي يأخذها بعد ذلك بيده اليسرى أربعين ألفاً؛ لذلك انقلب معظم الحامدين له تبرعه إلي ناقلين علي نيته السوداء، لكن الأستاذ جمال صفي الدين، لم يسلم بهذا التفكير والاستنتاج السهل .. فجمال عايش سعدا وفهمه أكثر من نفسه .. ولم يقتنع أبداً بأن توعد وقسم سعد بعدم بناء مدرسة جديدة - طالما هو علي قيد الحياة - يمكن أن يغطيه قوله العارض لتولي أعمال الإنشاء والبناء للمدرسة..

وحملت جمال الذكرى إلي قسم يشبه نفس هذا القسم منذ سنوات .. عندما جمعته الظروف به بعد أن هجر الكفر، وكان يجلس معه علي باب مستودعه، حينما قال ضاحكا شامتا أن نسمة لن تتزوج أبداً طالما بقي سعد علي قيد الحياة .. يومها عرف من سعد ما كان يمثل به من انحطاط وخسة وانعدام ضمير .. وصلت به إلي تلويث الأعراس الشريفة ((هو هو سعد لم يتغير ولن يتغير!!))

هكذا قال جمال مذكرا نفسه بالإشاعة التي أطلقها في الكفر بأن العمدة طرده وأمه .. علي أي حال كان جمال قد وصل إلي قرار نهائي يستطيع أن يقنع به أي إنسان في الكفر، وهو أن سعدا لن

يتولى أبدا بناء المدرسة الجديدة .. حتى ولو عرض خدماته عليهم بالمجان.

ودون أن يقنع جمال أحدا، كان معظم أهل الكفر غير مقتنعين أبدا بأن يتولى بناء المدرسة الجديدة .. فلقد صار كل واحد منهم يعتبرها بحق مدرسته هو .. تخصصه هو في المقام الأول .. ولا يمكن أن يفرط فيها ويعطيها إلي سعد: ((فمنذ متى صار يفهم في المقاولات؟!..الله يرحم أيام زمان..منذ سنوات قريبة عندما كان يجري خلف حمارين يحملان السباخ في طرقات القرية!!..كيف نأتمنه على أموالنا وعلى مدرسة أولادنا؟!)).

وهذا الرأي نفسه قاله الشيخ مأمون، وكذلك المهندس منصور السيد صراحة إلي الأستاذ جمال في بداية السهرة في الدوار وبعد أن انتهوا من صلاة العشاء والتراويح في المسجد .. وفي الحال ودون مناقشة .. أقرهم جمال علي رأيهما .. وأنه يعني جدا هذا الأمر .. لكن لا يجب أن ننسي بأن أي جنيه يأتي منه تبرع هو مكسب للكفر منه .. بل هو دين عليه وواجب دفعه للكفر .. ولأول مرة يفيض جمال ويصرح بتوجسه الشر من ناحية سعد هذا وطالبهما أن ينتبها جيدا إليه .. كما شدد عليهما أن يتوسعا في توعية الأهل من هذه الناحية .. وأنه من المتوقع جدا أن يضع سعد الكثير من العقبات في طريق مشروع المدرسة بشكل أو بآخر .. وأوضح لهما أيضا أن تفكير سعد ليس سطحيًا: ((ثم إنه عدواني بطبعه.. لذا سيعتبر أن أهل الكفر كلهم يقفون ضده .. وأنا نفعل هذا لكي نحرمه من الإيجار الذي يتقاضاه من التربية والتعليم عن مدرسته .. لذا وجب علي أن أحذركم منه .. لأنكم في النهاية أنتم الذين ستتحملون عبء إنجاز مشروع المدرسة فأنا أزور الكفر فقط كل أسبوع..))

أخذت الحمية والحرارة الشيخ مأمون وهتف مهدها: ((من سعد هذا الذي يمكنه أن يتحدى إرادة الكفر كله؟!..والله لو اقتضى

الأمر لمنعه من دخول هذا الكفر بالقوة .. قاطعة جمال منبها
بضرورة أن يخفض صوته .. كما أنه يجب علينا أن نحسن الظن في
الناس، ولكن المؤمن يجب أن يكون أيضا كيسا فطنا، ولا يجب أن
يلدغ من مامن .. وأنه يعتقد أن كثرة الكلام في هذه الأمور غير
مفيدة .. لكن العمل يكون أكثر فائدة: ((يجب علينا أن نحذر سعادا جدا
وفقط)) هكذا ختم كلامه الهامس معهما.

بالرغم من أن سعادا كان ينوي أيضا أن يزور سعدية في
بيتها؛ لكي يطمئن على ما حدث لمالها ومزرعة الدواجن .. وماذا
فعل زوجها قليل الأصل .. إلا أنه أحجم عن ذلك في اللحظة
الأخيرة، وبعد أن أوقف سيارته النصف نقل أمام بيت سعدية .. إلا
أنه وقبل أن يرق جرس بابها استقبلت أذناه صوت كل البنات داخل
البيت، وكذلك أمهم القردة كانت تتعالى ضحكاتهن تفاعلا مع أحداث
المسلسل الرمضاني الكوميدي الذي يعرضه التلفزيون .. تراجع في
الحال .. قفز إلى سيارته، وانطلق بها قبل أن يكتشف وجوده أحد ..
فلقد أدرك أن الليلة ستكون ليلة سوداء عليه، وخاصة من زوجته
القديمة القردة النكدية .. ولمعت في خاطرة نوال بنضارتها وعبقها
حتى وهي حامل في شهورها الأخيرة .. وهمس لنفسه مطمئنا:
((سعدية لديها جمال .. يستطيع أن يساعدها أفضل مني..)).

ثم غرق في التفكير مرة ثانية، وهو ينطلق بسيارته على
الطريق المؤدي إلى فاقوس في تلك الحركة التي لعبها علي جميع
أهل الكفر، وأولهم جمال والعمدة: ((أربعة آلاف جنيه كفيلة بأن تقنع
أي متشكك أنني لم أرد إلا الخير لأهل الكفر .. كفيلة بأن تجعلهم
يؤمنون جانبي، ولا يترصدون خطواتي تجاههم .. وسنري إذا كانت
سنقوم في كفر مفتاح مدرسة أخرى غير مدرسة سعد)).

الفصل الرابع عشر

يبدو أن بركات شهر رمضان قد حلت بكفر مفتاح لأول موة منذ فترة بعيدة .. فبينما احتل الكثير من التوجس والشك نفوس أهل القرية- وخاصة الشباب- فيما يمكن أن يدبره سعد لإفساد مشروعاتهم .. وإذا ما كان سيتفق مع المقاول الذي سيبتهد ببناء المشروع ليخطئ عمدا في التنفيذ .. أو ليدس أسمنتا أو حديدا غير مطابق للمواصفات .. أو للتأخير في التنفيذ بصورة أو بأخرى .. أو سيسعى سعيه لدي معارفه من موظفي الحكومة المرتشين سواء في التربية والتعليم أو القسم الهندسي في مجلس المدينة أو المحافظة .. أو سيقوم بعمل تخريبي أثناء تنفيذ المشروع على أرض الواقع .. أو بأية وسيلة من تلك الوسائل التي خمنها أمام اللجنة التي تم تشكيلها في اليوم التالي لاجتماعهم في الدوار .. المهندس منصور السيد وكذلك الشيخ مأمون والأستاذ جمال .. في اليوم الثالث لشهر رمضان فوجئ أهل الكفر بحلول ضيف بينهم .. كانوا يجلسون إليه لأول مرة مجالسة المعارف والأصدقاء .. بالرغم من أنهم يعرفونه جيدا من قبل .. كان أحيانا يصلي بينهم في صلاة الجمعة، إذا تصادف وجوده في الكفر خلال بعض المناسبات مثل الأعياد وغيرها .. لكن لأول مرة يجلس إليهم ويتناول طعام إفطاره معهم، المهندس مصطفى بركات زوج عليّة ابنة العمدة، الذي يمتلك شركة مقاولات ضخمة لها سمعتها الطيبة في الإسكندرية والمحافظات المجاورة لها .. علموا أنه جاء هو وأسرته علي غير عادتهم لقضاء بعضا من أيام شهر رمضان في الكفر .. فعندما علمت عليّة بأن أختها نسمة وزوجها وابنها عمر سيقضون شهر رمضان مع بابا وماما في الكفر .. انتابها حنين جارف لقضاء بعض من أيام رمضان في الكفر، في الريف حيث الحفاوة البالغة بالمناسبات الدينية .. وهزها الحنين لطفلة المسحراتي، التي كانت تبعث الحياة واليقظة في كل الموجودات الراقدة من حولها، عندما كانت طفلة وشابة صغيرة في بيت أبيها ..

تذكرت لعبها، وفوانيس شهر رمضان الملونة مع أختيها نسمة وصفاء .. وتحسرت على هذا الزمن الذي فرق الأسرة ووزعها بين محافظات مصر المختلفة .. عرضت على زوجها وولديها الفكرة فحباها بها جدا .. اعتبروها نوعا من تحطيم (روتين) الحياة التي ألفوها منذ مدة.

اكتشف أبناء الكفر أن الباشمهندس مصطفى بركات أكثر تواضعا مما كانوا يعتقدون .. فلقد كان يجلس بينهم بسيطا هادئا مرتديا جلبابا بلديا واسعا فضفاضا مثلما، يرتدي بقية أهل الكفر والعمدة وجمال .. كان يلبسه باستمتاع وسعادة السائح الذي يطيب له أن يقلد أهل البلد الذي يزوره .. لذا ازداد شباب الكفر قربا منه وحبا له .. وكان طبيعيا أن يثار أمامه موضوع بناء المدرسة .. فبسط أمامه بكل دقائقه، وكذلك بكل مخاوفهم من الفشل، وبكل حرصهم على نجاح المشروع .. ودهشوا جميعا تقريبا عندما قال لهم باقتضاب شديد كأنه حكيم يوجز الكلمات المفيدة ((يمكنكم إنجاز البناء بسرعة وبتكلفة الخامات فقط .. إذا كان لديكم جميعا الإخلاص والعزيمة والحب لقرينكم)).

لم تكن تلك الكلمات الموجزة بالشفافية للفتهم ففي معرفة الكثير والكثير عن أسرار هذا الموضوع، الذي يتعاملون معه للمرة الأولى؛ فانهالت عليه الأسئلة من كل شاب .. كان أكثرهم استفسارا المهندس منصور السيد والأستاذ جمال .. كان جمال يستفسر منه عن بعض المعلومات العامة، التي يمكن أن تزيج أية عقبة أمام المشروع: مثل كيفية الحصول على الموافقات اللازمة لبناء المدرسة، وكذلك التخطيط الهندسي، وكيفية التنفيذ بأقل سعر ممكن، ومدي الدور الذي يمكن أن يؤديه شباب الكفر وكلهم تقريبا عمالة مخلصة، لكنها غير مدربة .. كذلك واصل المهندس منصور الاستفسار عن بعض النقاط الفنية الخاصة بطبيعة التربة في الكفر، وعمق الأساس الذي يمكن أن تحتاجه مدرسة من عشرين فصلا دراسيا وحجرات الإدارة والمخازن

ودورات المياه ستبني - كما تصورها مبدئيا معظم أهل الكفر -- من طابقين قابلين للنمو فيما بعد، عند زيادة عدد أبناء الكفر الذين سيقبلون على التعليم الإعدادي والثانوي...

وأخيرا أسفر النقاش بينهم وبين ضيفهم على أنه سيتطوع بعمل الرسوم الهندسية اللازمة .. كذلك طمأنهم منصور بأنه سيتولى اعتمادها من الجهات المختصة .. كما تعهد المهندس مصطفى أيضا بعمل دورة مكثفة لشباب الكفر سواء طلبة أو من الخريجين الذين ينتظرون العمل، أو حتى من الموظفين للتدريب على مختلف أعمال البناء في خلال واحد وعشرين يوما..

ولم يتقاعس أبناء الكفر .. ففي الحال أخذ يسجل كل واحد منهم اسمه في المهن المعمارية التي يحب أن يتدرب عليها .. ما بين أعمال الخرسانة كحداد أو نجار مسلح وأعمال بناء النجارة والبناء والكهرباء والصرف الصحي والبلاط والدهانات.

اقترح عليهم أيضا أن يبدووا من الغد في التقدم إلي الجهات المختصة لاستخراج رخصة بناء مصنع طوب أسمنتي صغير .. وأوضح لهم أنه لن يكلفهم معدات كثيرة .. لكن حتى يمكنهم الحصول على الأسمنت المدعم، ويمكنهم توفير الطوب الأسمنتي اللازم للبناء فور وضع الأساس .. ولأنه رجل عملي أعلن أنه صباح الغد سيبدأ في وضع الرسوم الهندسية للمدرسة وملحقاتها .. وجعل من المهندس منصور المهندس التنفيذي المسئول .. وأنه خلال أسبوع على الأكثر سيكون قد أجري كل اتصالاته مع أصدقائه من المهندسين المسئولين عن مراكز التدريب التابعة لوزارة الإنشاء والتعمير لعمل الدورة المكثفة لهم ((لكن بالنسبة للأخوة الذين سيتولون العمل في مصنع الطوب الأسمنتي يمكنهم من الغد لو كان لديهم الاستعداد التوجه إلي الإسكندرية ومعهم خطاب مني إلي صديقي .. وسيتم لهم التدريب على استخدام المكابس والقوالب اللازمة خلال أسبوع)).

في الحقيقة دبت روح طموحة متوهجة في أجساد شباب الكفر
لسماعهم لكل اقتراح متفائل للباشمهندس مصطفى .. بعضهم - بينه
وبين نفسه - تجاوز حد التعاون مع بقية أهله في بناء المدرسة إلى
ركوب طموحه الفوار ليستغل هذه المهنة التي سيدرب عليها بطريقة
علمية وفنية نظيفة، ويتقنها لكي يعمل بها بعد ذلك في الخارج ..
بينما البعض الآخر أدرك أن هذا المهندس صهر العمدة قد أرسلته
العناية الإلهية إليهم في الوقت المناسب، قبل أن يقتلهم الاكتئاب الناجم
عن الفراغ والفقر والملل واليأس .. وقرر بينه وبين نفسه أنه مجرد
أن يؤدي واجبه الحتمي تجاه مدرسة الكفر يحصل على إجازة من
عمله كموظف حكومة ويشارك في أعمال المعمار .. لقد عرف أن
يومية عامل البلاط تجاوزت العشرين جنيها .. بينما يتقاضى هو في
الشهر الواحد ما يقل عن الأربعين جنيها بعد معاناة دراسية دامت
أكثر من اثنتي عشرة سنة دراسية حتى حصل على (الدبلوم).

لكن الشيء الذي أثار دهشة الجميع، هو إصرار الشيخ
مأمون على اشتراكه في تعلم مهنة التوصيلات الكهربائية داخل
المنازل .. ولم يسلم الأستاذ جمال من هذه الدهشة وسارع بسؤاله:
(كيف وأنت رجل دين، ومدرس إعدادي تفكر في مثل هذه
المهنة!!!)

كان رد مأمون على أستاذه حاسما: ((لقد كان رجل الدين
المسلم يعتمد على صناعة أو تجارة تدر عليه ربحا كافيا لكي يعيش
كريما بين الناس .. لم يكن في يوم من الأيام يتسول بعلمه أو يشتري
بآيات الله ثمنا قليلا .. وكلنا يذكر الإمام أبا حنيفة وغيره...)) وبعد
برهة صمت فيها، أضاف موضحا: ((لقد اخترت هذه المهنة بالذات؛
لأنها سهلة ويمكن العمل بها بعد انتهاء العمل في المدرسة .. فهي
ليست مرتبطة بوقت معين .. كما أنها تتم داخل المنازل بعيدا عن
أعين الناس، ولا تتناقض مع عملي كمعلم داخل الصف.)).

بعد ذلك لم يكن غريبا أن يتدفق كل الموظفين من أبناء القرية وخاصة المعلمين إلي مركز التدريب - بعد أن حصلوا على إجازتهم السنوية .. كل واحد منهم اختار المهنة التي استشعر أنها تفيده وتناسبه أكثر من غيرها .. ولم يعد أحد منهم يشعر بالخزي أو الخجل عندما يراه أي إنسان وهو يعمل .. صارت كل أمنيته أن تصدر الدولة قانونا يبيح لهم العمل بعد أوقات العمل الرسمي؛ حتى يشعروا بالأمان أثناء ممارسة أعمالهم الشريفة الإضافية، بدلا من انجرافهم بطريقة أو بأخرى إلي مد يدهم إلي المواطنين الذين يترددون عليهم طلبا للرشوة .. نفس هذه الرغبة قالوا بها علنا في حضور الأستاذ عبد الفتاح حسن الصحفي وكذلك الأستاذ جمال صفي الدين .. وكل من حسن حظهما أن ومضت فكرة مشتركة في عقليهما مما جعلت كل منهما ينظر إلي الآخر بإمعان وكأنه، يتأكد أنه ينشغل الآن بالفكرة نفسها، التي تشغل الآخر .. وكان عبد الفتاح سابقا إلي استطاع رأي جمال في هذا الموضوع: ((ما رأيك يا أستاذ لو فكرت في مناقشة هذا القانون على صفحات الجرائد؟ .. ألسنت معي بأنه لم يعد يتناسب وظروف الموظف وأعباء الحياة التي صارت تلتهمة حتى العظام!!!))

أوما إليه جمال موافقا، وأضاف موضحا: ((هذا القانون كان صالحا عندما كان يحافظ على كرامة الموظف والوظيفة العامة .. حينما كان الدخل متناسبا ويوفر الحياة الكريمة لرجال الإدارة .. لكن الآن - في رأيي الشخصي - يعتبر هذا القانون عقبة في طريق التنمية والتطوير سواء الاقتصادي أو الاجتماعي .. فضلا عن تحريض الموظف بشكل غير مباشر على ارتكاب جرائم الرشوة والاختلاس والسرقة .. فالغلاء فاحش والمرتب محدود .. والقانون يحول دون السعي طلبا للرزق الحلال!!))

أضاف الصحفي مؤكداً: ((إن في القاهرة معظم الموظفين يمارسون أعمالاً حرة بعد أوقات العمل الرسمية .. والحكومة تعترف ذلك .. لكنها الخشية من تغيير التقاليد الوظيفية - في اعتقادي - هي التي تحول دون إصدار قانون جديد يسمح بأن يمارس الموظف عملاً شريفاً بجانب عمله الحكومي))

وانفق الصحفي أنه سيشن حملة صحفية على هذه المادة من قانون العاملين المدنيين بالدولة .. وأنه لن يهدأ حتى تستجيب جهة الاختصاص .. كما طلب من الأستاذ جمال أن يعينه بالآراء القانونية التي تيسر له الوصول إلى هدفه بأفضل الوسائل وأسرعها .. كما طلب من الأستاذ جمال صورة شخصية له .. لأنه سيبدأ في كتابة التحقيق الأول من الليلة .. وسيبدأ من هنا .. من هموم موظفي كفر مفتاح.

كان لمعان الإحساس بالرضا والسعادة ينساب من عيني الحاج أيوب، وتنسكب على بقية تقاطيع وجهه المشوب بالسمر، وصار يخالطه حمرة ودموية فتزيده إشراقاً وبهاءً ، فها هو يجلس بين بناته وأحفاده الذين يتواثبون من حوله في خفة ومرح وبراءة مثل الطيور الأليفة بيدهم فوانيس رمضان الكهربية الملونة .. كان أكثرهم اغتباطاً وانبهاراً بتلك المشاهد الجديدة عليه هو عمر ابن نسمة .. وكان خفيف الظل يثير النظر إليه الابتسامة على الشفتين والرغبة في ضمه وتقيله .. وكان يود الحاج أيوب ذلك بين وقت وآخر كعادته .. لكنه اضطر بحكمة إلى الإقلاع عن ذلك في حضور حفيديه الآخرين من ابنته عليّة؛ حتى لا يشعروا بالغيرة من عمر، وحتى لا تحس عليّة بأن أباهما يحب ابن نسمة أكثر من أولادها هي .. لذا حاول أن يقتلع نظراته التي تغافله وتصل إلى عمر، وركز كل اهتمامه على الحديث الذي يدور بين جمال والمهندس مصطفى زوج ابنته عليّة، فلقد كان جمال يبدي إعجابه بلمسة السحر التي مس بها المهندس مصطفى الكفر وشبابه .. وكيف أنه فجر طموحهم وهزم هذا من

الأعماق .. ابتسم له المهندس مصطفى بتواضع ولطف، وقال مستنجا: ((يبدو أن الشباب هنا يتأجج بالطاقة والرغبة في العطاء .. لكنهم كانوا لا يعرفون الطريق الذي يوصلهم إلي استثمار طاقاتهم .. بعكس أولاد المدينة .. كل واحد منهم يمكنه الاعتماد على نفسه.))

وتدخل العمدة مبديا مشاعر الود والامتنان تجاه المهندس مصطفى: ((لقد حللت لنا مشكلة من أصعب المشاكل التي واجهت شباب الكفر .. لكن أملنا كبير فيك يا مصطفى يا ابني أن تظل معنا حتى انتهاء بناء المدرسة تماما.))

أجابه المهندس مصطفى بإخلاص: ((بالطبع يا عمي الحاج .. لن أتخلي عن الكفر حتى تقام فيها أجمل مدرسة .. هذا أقل واجب على تجاهكم وتجاه الكفر .. لقد أحسست أنني مقصر في حقكم تماما .. عندما قارنت نفسي بالأستاذ جمال، وبما يقوم به تجاه أهلنا هنا.))

رد العمدة بسعادة مطلقة: ((بارك الله فيكما .. لقد شرفتماني ورفعتما رأسي في عيون أهلي هنا في الكفر .. وأقول لكما الحقيقة لو كان لي أولاد من صلبني لما حققا لي مثل هذه السعادة والفخر الذي يجتاح كل كياني الآن.))

الفصل الخامس عشر

في صبيحة أول أيام عيد الفطر المبارك سيطرت الفكرة التي كانت تراود جمالا منذ مدة على كل تفكيره .. لم يشأ أن يضيع هذه الفرصة التي قلما تتوفر للكفر مرة ثانية؛ ففي العيد يجتمع كل الناس في الدوار لتبادل التهئة بالعيد .. معظم العاملين بالخارج يفضلون حضور العيد مع عائلاتهم .. كذلك أولاد الكفر الذين أخذوا على عاتقهم تعلم المهن المعمارية في الدورة المكثفة التي دبرها لهم المهندس مصطفى قد انتهوا منها تقريبا .. وماذا يفعلون بعد أن ينتهوا من بناء المدرسة؟! .. هل سيتشتتون في أنحاء الأرض سواء بالسفر إلي الخارج .. أو الإقامة في المدن حيث يوجد سوق عمالة المعمار؟! .. ثم إن بقية مشاكل الكفر لم تحل .. مشكلة الأرض الزراعية التي هجرها العمال .. كذلك مشكلة هؤلاء الذين يسافرون إلي الخارج ويرسلون أموالهم إلي أهلهم في الكفر فتضيع منهم هباء ما بين الإنفاق الزائد إلي حد التبذير .. أو شراء أشياء كمالية مثل التليفزيون الملون .. أو يقتنصها منهم أقرباؤهم مثلما حدث مع سعدة وأبيها، أو ما حدث مع جمعة أبي علاوي الذي أخذ زوج أخته تعبته وثمان غريبته على سبيل القرض أولا، ثم أراد أن يستولي عليها بدون وجه حق، ((لولا أن تدخلنا وحفظنا حقه)).

كانت الفكرة التي نمت وترعرعت في ذهن جمال شيئا فشيئا، هي أن ينشئ أبناء كفر مفتاح مؤسسة استثمارية قاصرة عليهم فقط في بادئ الأمر .. هذه المؤسسة سوف تستثمر أهم عنصري الثروة الحقيقية في كفر مفتاح طاقة الشباب المبددة ، وأموال العاملين في الخارج المهجرة .. ومن خلال هذه المؤسسة يتم الاستثمار في ميدانين فقط كنقطة للبداية..الأول هو الميدان المعماري وخاصة بعد أن يصير لديهم العمالة المدربة في مختلف مجالات المعمار، وأيضا مع

وجود المهندس المدني..وبالنسبة للمجال الزراعي سيقوم على استغلال الميكنة الزراعية لتعويض نقص العمالة الزراعية المهاجرة.

عندما عرض جمال فكرته في إنشاء (المؤسسة الاستثمارية لأبناء كفر مفتاح) على أبناء الكفر.. حملت فيه جميع العيون الموجودة في الدوار تقريبا .. وتراوحت الحملة بين الإعجاب بالفكرة .. وبين التوجس .. وكان أكثرهم توجسا هم العاملون بالخارج .. فأبي مؤسسة استثمارية هذه التي يمكن أن يأمنوا على أموالهم فيها؟! .. في الحقيقة هم يتقنون تماما في جمال والعمدة .. لكن كيف يتقنون بمن سيتحمل عبء استثمار مالهم من أبناء الكفر؟ .. وفيما سستثمر؟ .. وكيف سيكون توزيع الأرباح؟ .. وما هي الضمانات الكافية التي ستكفل لهم الحصول على حقوقهم وعدم ضياع أموالهم؟! .. أسئلة كثيرة متشككة كانت تتور في أعماقهم .. وكان لزاما عليهم قبل الموافقة على الفكرة، أن يطرحوها على جمال نفسه صاحب الفكرة .. وهو المحامي الذي يمكن أن يفيدهم في هذا الأمر .. فلا أحد منهم يكره أن يستثمر أمواله ويشغلها، وهي حتما ستدر ربحا أكثر من ربح البنك الضئيل والمشوب بالحرام والربا .. لكن في ذات الوقت، لا يجب أن ينسى أحد أن مال الإنسان عزيز عليه .. ولن يفرط فيه ببساطة أو بمجرد كلمة شرف .. ((فما هي الضمانات يا أستاذ التي تحفظ لنا أموالنا؟!!!))

في الحقيقة كان جمال مستعدا لأي سؤال .. فلقد كان الموضوع شبه مدروس منه دراسة كاملة .. قام بتوضيح تصوره للطريقة التي ستضمن حقوقهم، وكذلك للأسلوب الذي ستدار به المؤسسة .. وكيف أنه سيكون لها مجلس إدارة، وسيتم تشكيله بالانتخاب من بين المشتركين في المشروع، نصف العدد من المشتركين بالجهد والعمل، والنصف الآخر من المشتركين بالمال أو ممن يوكلونهم -إذا كانوا خارج مصر- .. ويعقد هذا المجلس مرة كل أسبوع .. كل يوم جمعة مثلا .. وكذلك عند الضرورة .. وهذا

المجلس هو الذي سيختص بإدارة أوجه النشاط المختلفة .. وهو الذي سيقبل العمل في المشروعات المختلفة أو يرفضها ويوقع الاتفاقات المختلفة .. وهو الذي سيكون مسئولاً عن تقديم الحساب الختامي السنوي لجميع المشتركين في المؤسسة من أهل الكفر .. وهو ما يسمى بالجمعية العامة، وسيكون الربح الصافي مناصفة بين أصحاب المال وبين المشتركين بالجهد والنشاط .. ولكن نظراً لطبيعة المؤسسة يمكننا إثبات شرط ينص على عدم جواز سحب أي مبلغ من المؤسسة إلا بعد عامين بالتحديد .. حتى يمكنها الوقوف على قدميها؛ ويمكن تسديد قيمة أدوات الإنتاج التي سيتم شراؤها مثل منجرة خشب كهربائية مثلاً .. كذلك مصنع مناسب لضرب الطوب الأسمنتي .. وخاصة بعد أن أصدرت الحكومة قراراتها بوقف إنتاج الطوب الأحمر من الطمي والتراب الأسود .. وعدم تجريف التربة الزراعية .. كما فعل في السابق سعد أبو رزق .. ثم شراء الأدوات الزراعية اللازمة لكي يمارس القسم الزراعي نشاطه في الميكنة الزراعية واستغلال إمكانيات الكفر الزراعية بكاملها .. بالطبع لن ندخل أي من البنوك معنا في المشروع .. سيتدخل كبار الموسرين في الكفر لضمان ثبات وبقاء المشروع .. أمثال عمي الحاج أيوب مثلاً .. وكل من يحب خير هذا الكفر ..

رفع الحاج أيوب صوته مؤيداً لكلام جمال وفكرته: ((أنا موافق على أي عمل يعود بالنفع على الكفر .. وأنا مستعد لضمان المشروع بكل ما أملك .. بشرط أن يكون المشروع في أساسه مبنياً على المضاربة الإسلامية .. بمعنى أن يكون هناك احتمال للربح والخسارة .. حتى يبارك الله فيه .. لكنني فقط .. ومن يريد معي في حالة حدوث خسارة بسبب إهمال جسيم من جانب القائمين على المشروع..))

وهنا قاطعه جمال موضحاً نقطة هامة: ((وهذا الشرط بالطبع يترتب عليه أن يكون لعمي الحاج وكل من سيشتركون معه في

ضمان المؤسسة حق رقابي في أي وقت للتأكد من حسن سير عملية الاستثمار.))

وصاح أحد المعجبين بالفكرة مؤيداً: ((على أي حال يا أستاذ الفكرة ممتازة .. ولو تمت سيكون كفر مفتاح هو الأول على مستوى مصر الذي تمكن من حل مشكلاته كلها .. يمكنك يا أستاذ دراسة الموضوع بشكل أوفى، وتضعه في صيغته القانونية المناسبة لأنك ستكون -بالطبع- المستشار القانوني للمؤسسة))

وتعالت بعض الأصوات مؤيدة بإخلاص لهذا الرأي .. ووضح من بينها صوت الشيخ مأمون، الذي راح يؤكد على رأي العمدة بضرورة أن تبنى الفكرة الأساسية للمؤسسة المقترحة على المضاربة الإسلامية .. بعيداً عن الأفكار الربوية التي خربت بيوتنا .. وجعل هذا الشرط هو شرط أساسي في المؤسسة.

فأجابهم الأستاذ جمال مرحباً: ((إذا كان هذا هو رأي أغلبية أهل الكفر فأنا موافق .. وخلال أيام - إن شاء الله - سأكون قد انتهيت بشكل نهائي من صياغة فكرة (مؤسسة كفر مفتاح للاستثمار) في شكلها القانوني؛ حتى يلتزم قانونياً كل عضو في المؤسسة .. ولكن أحب أن أوضح نقطة هامة .. الالتزام القانوني في مؤسسة كفر مفتاح ينبغي أن يكون آخر أنواع الالتزام .. لأن طبيعة الإنشاء تقتضي أن يكون الالتزام الأخلاقي والدافع الشخصي لنجاح المؤسسة هما الأولى بالاعتبار من الالتزام القانوني .. ويجب أن نعلم جميعاً .. أن النجاح سيكون نتيجة حتمية لعزيمتنا وإخلاصنا وأمانتنا وإصرارنا نحن أبناء الكفر على النجاح))

تعالت الأصوات مرحبة ومؤيدة .. وكانت النشوة قد أخذت بكلمات معظم الحاضرين من شباب الكفر .. بدؤوا يدركون أن كل مشاكلهم قد اقتربت من الحل .. كان كل منهم يمني نفسه بأشياء

كثيرة .. وخاصة أولئك الذين دقوا جميع الأبواب بحثاً عن العمل بعد حصولهم على شهاداتهم، ولم يستجب لهم .. وكذلك حتى الموظفين الذين طالما اشتكوا من ضالة الراتب، وزيادة الأسعار بصورة جنونية .. كلهم استبشروا خيراً كثيراً من وراء هذه الفكرة .. حتى هؤلاء الذين سيشاركون بأموالهم بدأ يتسرب إلى قلوبهم الإحساس بالأمان منذ أن أعلن الحاج أيوب بنفسه بأنه الضامن لأموالهم في حالة ثبات أي خطأ جسيم أو إهمال متعمد في المؤسسة .. ولم يقلقهم كثيراً مسألة المضاربة واحتمال المكسب أو الخسارة .. فهم يعرفون أنه في هذه الأيام لا توجد مشروعات يخلص لها أصحابها وتخسر أبداً .. ثم إن الرقابة التي سيقوم بها الضامنون من كبار الكفر ستكون بمثابة العين الساهرة على مصلحة جميع أعضاء المؤسسة، سواء من اشترك بالمال أو بالجهد .. وحتماً سيبدل الجميع أقصى ما يستطيعون ما دام صار معروفاً لديهم أن الربح سيعود عليهم في النهاية .. فهم شركاء فيه بالنصف ..

وأذهل الجميع وهم في مجلسهم المتقائل المستبشر هذا سماع صوت زغاريد نسائية .. وقبل أن يستديروا بعيونهم المستفسرة جهة الباب الخارجي للدوار، متسائلين عن المناسبة السعيدة، التي استدعت إطلاق كل هذه الزغاريد الملتهبة دفعة واحدة وبشكل متواصل!! .. فليس الموسم هو موسم شهادات دراسية .. فالثانوية العامة والثانويات الفنية ما زال على ظهورها أكثر من ثلاثة أسابيع، كما أعلنت الجرائد منذ أيام .. وقبل أن يستطرد الجالسون والمتشحون بفرحة العيد ونشوة التفكير في المشروع الجديد في التخمين عن السبب .. اقتحمت عليهم الدوار أم سعيدة .. زوجة سعد القديمة، وقد أمسكت في يدها اليسرى بجريدة يومية .. بينما واصلت وضع يدها اليمنى أعلى شفتها العليا وقد غطاها العرق تماماً .. وبعد أن كررت الزغاريد مرة ثانية وثالثة ورابعة بطريقة هستيرية .. لدرجة أن البعض قد ظن بأن المرأة قد فقدت عقلها تماماً .. فشعرها الذي فر من تحت غطاء رأسها في شكل يابات من سلك ويتأرجح بعصبية حول خديها بشكل

جد مقزز لم تنتبه إليه .. وصدرها المفتوح بصورة منفرة، ليفضح
جفاف صدرها الخشبي .. لم تلتفت إليه .. كل ما كانت تقوم به
بانفعال وفرحة مجنونة إلي حد البكاء والضحك في الوقت نفسه، هو
الإشارة بإصرار إلى شيء مكتوب في الجريدة، وأخذت تصيح في كل
الحضور .. كانت تصرخ في وجه كل من تمر به بشكل هستيري:
((ألم أقل لكم أن الذي يظلم الولايا لن يكسب أبداً!!!.. ألم أقل لكم أن
الظلم وخاصة للنساء عواقبه وخيمة .. خذوا عبرة من سعد الأقصر
أكلني لحما ورماني عظاما .. ومن الكأس نفسه ربنا سقاء.. كل
الجرائد كاتبه عنه وعن زوجته الجديدة .. كان عايز يخالف أمر ربنا
ويجب ولد .. انظروا إلي الصورة .. ربنا أعطاه ست بنات توائم ..
يعني ربنا قال له إذا كنت تضايقت من الخمس بنات أنا بأعطيك ست
بنات))

وواصلت الزغردة إلي درجة الرقص الشامت فيما أصاب
سعد .. وراحت تنقل الصحيفة من يد إلي يد .. كانت حريصة على
أن يقرأها ويشاهد الصورة كل أهل البلد.

وكانت الجرائد قد نشرت بالفعل هذا الخبر .. وقد علقت عليه
بأن البنات الست يتمتعن بصحة جيدة، وأن وزنهم طبيعي وهي تعد
بحق من الحالات النادرة .. وأخذ الحاضرون يمصصون شفاههم
تحسرا على تصرفات سعد .. وكذلك تعاطفا مع زوجته، التي أوشكت
أن تفقد عقلها شماتة في زوجها خائن العشرة، الذي أفترى عليها،
وأفترى على ابنتها، الذي سرق منها معظم مالها، لكي يعطيه لأم
الولد .. لكن ربنا فضحه .. وخيب أمله وأرسل له ست بنات.

وراحت تصرخ كالمسوعة: ((نفسى أشوف وشك يسا سعد
الآن .. نفسى أشوف وشك يا ظالم..))

وأخيرا نهض جمال إليها لكي يهدئها .. وشيئا فشيئا استطاع
أن يقنعها بالعودة إلى بيتها، أو إلى بيت سعادته حتى تستريح وتهدأ ..
مذكرا بهدوء أن هذا لا يليق بها أمام الناس .

الفصل السادس عشر

لم تكن هذه الحالة الهستيرية، التي انتابت أم سعدية، كرد فعل للشماتة المكثفة، التي كانت تختزنها في تجاوب قلبها منذ أن تزوج عليها سعد وهجرها، بعد أن بصق على وجهها، كمكافأة لنهاية خدمتها له وعشرتها إياه لمدة زادت عن الخمس والعشرين سنة .. لم تكن هي المرة الأخيرة التي زغردت فيها بجنون .. فبعدها بشهر تقريبا طافت في الكفر مزغردة مصفقة بيديها معلنة شماتها بوضوح، وتشفى في الظالم الذي انهارت مدرسته فجأة وأثناء الليل بسبب ظلمه .. ولقد حمد أهل الكفر ربهم كثيرا؛ لأن المدرسة قد سقطت في فترة العطلة الدراسية .. وكانت المدرسة خالية تماما من أي إنسان ..

وكانت سعادة شباب البلد مضاعفة؛ لأن الله وقف بجوارهم .. في اللحظة التي بدؤوا فيها العمل فعلا في المدرسة الجديدة .. كانوا يشعرون بقلق حقيقي من التصرف الذي قد يبيته سعد؛ حتى يؤخر بناء المدرسة الجديدة ؛ لكي تتاح الفرصة لبقاء مدرسته لأطول فترة ممكنة.

لكن انهيار المدرسة المفاجئ، جاء محطما لما بقي من شرور سعد، التي هدها بعض الشيء إيجابه للست بنات ولم يأت الولد .. ولم يعد لديه رغبة لمقابلة الناس بعدها .. كما أنه لم يعد يأتي إلي الكفر .. وقال بعض من رآه أنه يسير في الطريق كالمذهول .. ولم يعد يطيب له الجلوس على الدكة التي كان يستريح عليها سابقا معظم وقته أمام المستودع .. كما أن جسده أصابه الكثير من النحول .. وصار من تقع عيناه عليه يتشكك فيما إذا كان هذا هو سعد الأقرع أم لا .. لذا عم بين شباب الكفر إحساس بالاطمئنان إلي حد كبير بعد انهيار مدرسة سعد .. وتأكد للناس كل ما قاله لهم الشيخ مأمون ذات يوم جمعة، من أن سعد يعطي رشوة للمهندس المختص؛ حتى يكتب

التقارير الكاذبة التي تفيد بصلاحيه البناء .. وزاد إعجابهم بمأمون وجراته وكذلك شجاعته بالحق .. وقالوا لو لم يعلن مأمون الموقف صراحة في حضور الجميع لضاع أولادنا تحت الأنقاض .. ولو لم يسارع ويتبرع العمدة بقطعة الأرض لبناء المدرسة، ويتطوع كل أهل الكفر ببناء المدرسة الجديدة لتشرّد أبناؤنا بين المدارس التي تحيط بالكفر .. وسيضطرون إلي السير الكيلومترات الطويلة في الذهاب والإياب

ومرة ثالثة ملأت أم سعدية مساء الكفر كله بالزغاريد الشامتة .. مواصلة التوسل إلي الله، بأن يواصل انتقامه من الظالمين، وأولهم سعد الأفرع .. وكانت هذه المرة عندما قامت الشرطة بالقبض عليه ووضعته في السجن؛ لأنه لم ينصع لأوامر الحكومة بالتوقف عن إنتاج الطوب الأحمر، بالرغم من المهلة التي منحتها له من قبل حتى يحول نشاطه إلي الطوب الطفلي أو الأسمنتي البسيط الذي أنشأه شباب الكفر كباكورة لنشاط مؤسسة كفر مفتاح للاستثمار - ينتج جميع أنواع الطوب الأسمنتي المناسب، والذي كان يخضعه المهندس مصطفى- والذي اعتاد على زيارة الكفر هو وأسرته كل يوم جمعة- للاختبار ليتأكد من مدي صلاحيته .. وكان أيضا يتابع نشاطهم، وعلى وجه الخصوص في بناء المدرسة، الذي كان ينهض فوق الأرض بصحة وعافية تثير الإعجاب .. ولم يكف الأستاذ عبد الفتاح حسن الصحفي عن عمل التحقيقات الصحفية، حول قيمة المواد الموجودة في قانون العاملين المدنيين بالدولة، والتي وتمنع مزاولة موظف الحكومة لعمل إضافي بعد أوقات العمل الرسمية .. وبدأ الناس يتعاطفون مع وجهة نظره، وكذلك قال بها الكثير من رجال القانون والمسؤولين الذين استضافهم في تحقيقاته الصحفية .. وصار هناك ما يشبه القناعة لدى الغالبية بعدم جدوى هذه المادة في قانون العاملين .. كما حذر بعض القانونيين من تحوير هذه المادة وتعديلها إلي ((يجوز للسلطة المختصة أن توافق للعامل على ممارسة بعض الأعمال الأخرى في غير أوقات العمل الرسمية)).. لأن من رأيهم أن

المنع سيكون أكثر رحمة من جعل الموافقة جوازية .. حيث أنها - من وجهة نظرهم - ستفتح باب النفاق و الرياء والرشوة وشراء الضمائر في سوق الوظيفة العامة .. مثلما هو الحال في جواز الموافقة للعامل على التعاقد أو السفر إلى الخارج .. ولقد تعمد الأستاذ عبد الفتاح حسن أن يبرز هذه الآراء بالبنط الكبير؛ حتى تقع عليها عيون من يهمله الأمر، وظهرت صورة جمال صفسي الدين المحامي في الصحف في تحقيقين متشابهين في صحيفتين مختلفتين .. وكان الصحفي الثاني الذي أثار الموضوع معه واحدا من أبناء المنصورة الموجود بها مكتب جمال.

ومع تطور الأيام كان كفر مفتاح بكباره وصغاره يتحول إلى خلية من النحل في نشاطه ونظامه وإصراره على النجاح .. كانت المدرسة يوما بعد يوم تتبثق من باطن الأرض، التي تبرع بها الحلج أيوب .. كانت تنمو وتنمو في عيون أهل الكفر جميعهم .. يشعرون بها كأنها طفلتهم جميعا .. الوليدة التي رضعت من عرقهم جميعا .. ويتأوبون الحراسة عليها ليل نهار .. فما زال ماثلا في داخلهم بعض الخوف من حقد سعد الذي انهار تماما مثل مدرسته .. لكن حتى مع ذلك لا يجب أن يؤمن جانبه أبدا .. فالنباتات الشوكية المؤذية هي أكثر النباتات تحملا للكوارث، وقسوة الظروف والبقاء متحفزة منتظرة اللحظة التي تطعن أي مخلوق لا ينتبه إليها ..

ولم ينقطع الصحفي عبد الفتاح عن زيارة الكفر .. كان معهم بين وقت وآخر يصور إنجازاتهم وعزيمتهم ورغبتهم في النجاح .. كان يصورها بالكاميرات وبقلمه .. كان يلتفت الأنظار إلي هذا الإعجاز الذي يتخلق في قرية منسية متاخمة لصحراء الصالحية .. وكيف يتم العمل فيها ليل نهار .. وكيف أنهم يعتبرون أنفسهم في سباق حقيقي مع الزمن .. ولم يكتف بالكاميرا العادية بل كان يحضر كاميرا فيديو يسجل بها مراحل إنشاء المدرسة لحظة بلحظة .. فقد فكر أن يعد برنامجا تليفزيونيا عن تجربة أهل كفر مفتاح الرائدة ..

وتم له ما أراد .. حيث أن التلفزيون العربي كان في صحبة وزير التربية والتعليم، الذي كان يتابع إنشاء المدرسة مثل بقية المواطنين في الصحيفة التي يعمل بها عبد الفتاح .. ونمت الرغبة في نفسه تشجيعا لأهل هذا الكفر النشط الطموح؛ ولكي يكون ذلك تشجيعا لغيرهم في التخفيف عن كاهل الحكومة وبناء المدارس بالتعاون والمجهود الذاتي .. لذا قرر أن يشارك بنفسه في افتتاح المدرسة الجديدة بكفر مفتاح .. وأعطى أوامره بسرعة تأثيث المدرسة بلحدث الأثاث .. وعرض الافتتاح على شاشة التلفزيون .. وكانت سعادة الناس في كفر مفتاح بلا حدود، وهم يشاهدون أنفسهم في التلفزيون .. كان الأطفال والكبار يتصايحون فرحا، وكان كل منهم يشير إلي صورته في التلفزيون ((ها أنا..ها أنا!!)) .. وشاهدوا بسعادة وفخر الحديث الذي أدلى به الأستاذ جمال المحامي إلي التلفزيون .. وكلهم أجمعوا على أنه كان أجمل وأكثر لباقة من مذيع التلفزيون، الذي كان يجري معه الحديث حول تجربة كفر مفتاح في مجال بناء المدرسة بأيدي أبنائها .. كذلك تجربتهم الجديدة الرائدة في مجال الاستثمار المزدوج للطاقت المحلية، وأموال العاملين بالخارج من أبناء الكفر .. بالفعل أثار إعجاب كل من شاهده .. ولذا قال أكثر من واحد أنه يصلح لأن يكون وزيرا .. أما زوجته نسمة التي كانت أكثر الناس سعادة به فكانت تكرر له دائما أنه يصلح لأن يكون رئيسا للجمهورية .. فهتف ضاحكا: ((رئيس جمهورية مرة واحدة!!..القرد في عين زوجته غزاله!!))

فاستكرت منه ذلك بشدة، وأقسمت له بإخلاص بأنه أفضل من يمثل مصر كرئيس لها .. أما المشاهدون في الأماكن الأخرى، والذين لا يعرفون شيئا عن كفر مفتاح، فقد أعجبهم جدا المشهد الذي كان كل الفلاحين بحميرهم يتسابقون في حفر أساس المدرسة .. أعجبهم جدا هذا العبد الهائل النشيط من الحمير التي تحمل أتربة الحفر فوق ظهورها كانت تتحرك بنشاط وخفة .. ولكأن الحمير هي

الأخرى كانت تشارك الأطفال الذين يقودونها في فرحتهم وسعادتهم بالمدرسة الجديدة - واستضاف التليفزيون المهندس مصطفى الذي أكد أن العمل تم في هذه المدرسة في وقت قياسي .. لا يمكن أن يتحقق مثله في أي مكان في العالم .. ويكفي أن يعلم الناس أن هؤلاء الذين وقع على عاتقهم إنجازهم جلمهم .. إن لم يكن كلهم من الشباب المتعلم سواء طلبة أو موظفين .. لم يحصلوا إلا على دورة مكثفة في المهنة التي أحبها كل منهم .. ومع ذلك فلقد تم لهم بالإرادة والعزم والتصميم أن يحققوا المعجزة))

في الوقت نفسه الذي كان فيه الجناح المعماري (المؤسسة كفر مفتاح للاستثمار) يناضل ليل نهار لإنجاز المدرسة بطريقة مشرفة وسريعة .. حتى يتمكن أبناء الكفر في المرحلتين الإعدادية والثانوية استقبال العام الجديد فيها .. كان الجناح الاستثماري الزراعي قد تقدم بعرض وفكرة مبتكرة لمجلس الإدارة، وكان معهم جمال، فقد رأى البعض إمكانية استغلال الخمسة فدان التي تمتلكها سعدية بنت سعد .. في عمل مزارع سمكية .. فلقد جرفهم سعد منذ سنوات، وتركهم لابنته مغمورين بالمياه الراكدة، التي يرتع فوقها جيوش من البعوض الذي يهاجم سكان الكفر وتنقل لهم الملاريا.. ووافق مجلس الإدارة.

تطوع جمال بطرح الفكرة على سعدية، لاستئجار الخمس فدان لهذا الغرض، ولم يجد جمال أية صعوبة في إقناع سعدية .. فلقد وافقت في الحال .. بعد أن عرضت عليه فكرة جديدة .. وهي أن يستأجروا منها مزرعة الدواجن .. فهي لا تحتل التعب .. وزوجها هجرها، وهي لا تسعى إلى إعادته .. لكنها قررت أن تستكمل تعليمها ، وهي بالفعل قد جهزت كتب الثانوية العامة القسم الأدبي نظام الثلاث سنوات .. فلديها رغبة قوية في الانسحاب إلى كلية الحقوق لأن العمل في المحاماة يستهويها .. وفي التو رحب جمال بالفكرة .. ووعد أن يعرض أمر استئجار مزرعة الدواجن على مجلس إدارة المؤسسة .. وأما بالنسبة لموضوع الاستنكار فهو يؤيدها تماما ..

وأعلن لها بإخلاص أنه في خدمتها في أية مساعدة لتحقيق هذا الأمل .. وعرض عليها في الوقت نفسه أن يتوسط لإصلاح بينها وبين زوجها .. لكنها رفضت بشدة .. مذكرة إياه بما فعله معها.

وتم للجناح الزراعي استئجار المزرعة أيضا .. وبدأ يمارس نشاطه في مجال الميكنة الزراعية .. واستطاع منذ السنة الأولى أن يحل كل مشاكل كفر مفتاح الزراعية .. مما دفعهم إلي طرح فكرة جريئة على مجلس إدارة المؤسسة، وهي ممارسة النشاط في الأراضي الصحراوية القريبة منهم .. فلقد فكروا في استصلاح خمسمائة فدان في الصحراء .. لكن مجلس الإدارة أجل البت في هذا الموضوع إلي العام القادم .. وحتى يعرض الأمر برمته على الجمعية العامة؛ وحتى يمكن توفير المال اللازم للبدء في مثل هذا المشروع الضخم ...

تمت